ارسين لوبين

أرسين لوبين في موسكو



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه

يقدم

الروايةالمعرّبة

أرسين لوبين في موسكو

(٧)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوبين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش ٠م٠م٠

ص.ب ٣٧٤ جونيه - لبنان

القسم الأول
اليد الخفية
الفصل الأول
مرح وقتل

- لقد جاء الرجل الفرنسي يا سيدتي ..
- وإلى اين ذهبت به ؟
- إلى غرفة الاستقبال .
- لماذا لم تذهب به إلى الغرفة الصغيرة المجاورة لغرفة "ناتاشا" كما امرتك يا "اورميلوف" .
- عفوا يا سيدتي .. لقد اردت أن افتشه فلكمني وحاولت أن أصعد به إلى الطابق الأول فرفض .
- الم تقل له إن كل إنسان يجب أن يفتش قبل أن يسمح له بدخول هذا المنزل وإن والدتي نفسها تخضع لهذه القاعدة ؟
- لقد قلت له ذلك يا سيدتي .وحدثته عن والدتك وكيف أنها تفتش كلما جاءت لزيارتك .
- وبماذا أجاب !
- اجاب بانه ليس والدتك .
- حسنا في استطاعتك أن تعفيه من التفتيش .
- سوف يغضب مدير البوليس إذا علم بذلك .
- ساتفاهم مع مديرالبوليس .. اذهب انت لحراسة الباب الخارجي يا "اورميلوف" .

دار هذا الحديث القصير بين "ماترينا بتروفنا" والجندي "الشيخ اورميلوف" ثم انصرف الجندي إلى حديقة القصر لحراسة الباب الخارجي وصعدت "ماترينا بتروفنا" إلى الطابق الأول وقصدت إلى غرفة زوجها ..

كان زوجها الجنرال "فيودور تريباسوف" جالسافي مقعد كبير.

وقد دار حوله نفرمن الاتباع والزائرين الذين اعتادوا الاختلاف على بيته للجلوس إليه .. وإدخال التسلية على نفسه وهو جالس في مقعده لا يستطيع مبارحته بسبب الجرح الخطير الذي أصاب ساقه في حادث اعتداء كاد يودي بحياته .

فتحت "ماترينا بتروفنا" باب الغرفة ودخلت . فلم يلق احد باله إليها . ومضى المستشار "إيفان بتروفتش" يسرد على أصحابه آخر ما سمع من الدعابات والطرائف . ثم راح الجنرال "تريبا سوف" يقص على سامعيه كيف أنه اقام مع بعض زملائه الضباط حفلة شراب لجياد الحرس القيصري حينما كان الجنرال لايزال من صغار ضباط الحرس .. ووصف كيف راحت الجياد تصهل وترقص بعد أن انتشت وثملت . فانفجر القوم ضاحكين واغرورقت عيونهم بالدموع .

أصغت "ماترينا بتروفنا" إلى بعض هذه الأحاديث . ولم تشارك زوجها واصحابه في مرحهم .. بل هزت راسها في شيء من السام وانسحبت من الغرفة بعد أن اجالت بصرها في قلق بين "ناتاشا" ابنة زوجها والضابط "بوريس مورازوف" الذي كان ينظر إلى "ناتاشا" باستمرار ولايحول عينيه عن وجهها الفاتن .

انسحبت زوجة الجنرال من الغرفة وهبطت الطابق الأول ومرت في طريقها بقاعة صغيرة في مواجهة قاعة الاستقبال .

كان باب القاعة الصغيرة مفتوحا .. فابصرت "ماترينا بتروفنا" بداخلها رجلا جاثيا على يديه وركبتيه .. وقد كمن بحيث يستطيع ان يرى كل من يجتاز باب المنزل .

كان الرجل يرتدي ثياب البوليس . فلم يكد يقع بصره على زوجة الجنرال حتى أوما باصبعه نحو قاعة الاستقبال فاطرقت "ماترينا بتروفنا" براسها مرارا إشارة إلى أنها تعلم بوجود شخص اجنبي في تلك القاعة ..

كان يوجد حول منزل الجنرال وفي كل ركن من أركانه رجل من رجال البوليس لمراقبة الزائرين ، محافظة على حياة الجنرال فيودور تريباسوف" . وهو إجراء اقتضاه وقوع ثلاثة اعتداءات متوالية على

حياة الجنرال الذي كان يشغل منصب حاكم موسكو العسكري .
كان الجنرال قد استطاع أن يخمد ثورة هائلة دبرها الفوضويون في موسكو .. وقد أخمدها بسرعة .. ولكن باستعمال شتى ضروب القسوة والعنف .. وكانت النتيجة أن قرر الفوضويون اغتياله . وأن راحت تترى عليه رسائل التهديد بالموت . جزاء ما اقترف هو ورجاله من الفظاعات في حادث تلك الثورة التي أعدم فيها عدد كبير من طلاب جامعة موسكو وهلك فيها زهرة شباب العاصمة الروسية .
وقد أصبحت "ماترينا بتروفنا" - بعد حوادث الاعتداء الثلاثة - لاتعيش في أمن من أجل زوجها .. فهي تقضي النهار في تشجيع رجال البوليس وحثهم على السهر على حياة زوجها .. وتقضي الليل في التجول بين غرف المنزل ، واستقصاء كل صوت مريب وكل حركة غير عادية . وقد كان لهذه الزوجة المخلصة من الملاحظات ما حفزها على تشديد المراقبة ، ولم تفض بهذه الملاحظات إلى كائن من كان غير "كوبريان" مدير البوليس الذي أفضى بها بدوره إلى القيصر . فاستقدم القيصر من فرنسا خصيصا رجلا من أمهر رجال البوليس السري فيها هو المفتش "جوستاف بوريل" ، وأناط به مهمة التعاون مع "كوبريان" على إماطة اللثام عن المؤامرات التي تدبر لقتل حاكم موسكو العسكري .
دخلت "ماترينا" قاعة الاستقبال لمقابلة "جوستاف بوريل" الذي انباها "أورميلوف" بقدومه ..
أجالت الطرف في أنحاء الغرفة . ولكنها لم تر أثراً للزائر الفرنسي.
ثم حانت منها التفاتة إلى باب آخر في قاعة الاستقبال يؤدي إلى غرفة الطعام .. ولاحظت أنه مفتوح قليلا .
دهشت .. لأنها أغلقت هذا الباب بنفسها في اليوم السابق .. واحتفظت بمفتاحه في غرفتها .. لكي يسهل على رجال البوليس مراقبة الزائرين فلا ينتهز أحدهم فرصة .. وينفذ إلى غرفة الطعام فإلى الدهليز فإلى الطابق الأول حيث يقيم الجنرال .
أسرعت إلى الباب ونفذت منه إلى غرفة الطعام وهناك وقع بصرها على منظر أدهشها أولا ، ثم جعل فمها يفتر عن ابتسامة.

رأت رجلا في مقتبل العمر ، معتدل القامة جالسا على حافة المائدة ، وقد اقبل على الطعام بنهم كانه لم يتذوق شيئا منذ اسبوع .

وشعر الرجل بدخول زوجة الجنرال ، فوثب من مكانه وحاول أن يتكلم .. فخرج من فمه المليء بالطعام صوت مبهم جعل "ماترينا بتروفنا" تغرق في الضحك ، وهي التي لم تضحك منذ بضعة اشهر .

وابتلع الرجل الطعام بسرعة . ثم قال بالفرنسية :

- أرجو المعذرة يا سيدتي .. لكن القيصر نسي أن يدعوني لتناول طعام الغداء .

فنظرت "ماترينا بتروفنا" حولها . ثم استقرت عيناها على الباب وهتفت .

- ولكن كيف .

وأمسكت عن الكلام ، فادرك "بوريل" غرضها . وقال :

- ليس أسهل على اللص ورجل البوليس السري من فتح الأبواب المغلقة .. ولكن لولا أن رائحة الطعام ملأت أنفي ..

فقاطعته "ماترينا" بابتسامة . وسألت :

- هل قابلت جلالة القيصر .

- إنني قادم للتو من قصره .. إنه يملك أبدع مجموعة من اللآلئ والأحجار الكريمة التي وقع عليها بصري . ولكن هل لي الشرف بالتحدث إلى زوجة الجنرال "تريباسوف" نعم يا سيدي وأنت الست مسيو "جوستاف بوريل" .

فحنى "بوريل" قامته وقال وعيناه تلمعان بتهكم ودهاء . بلى يا سيدتي ، "جوستاف بوريل" مفتش البوليس بإدارة الأمن العام بباريس. وأنا على استعداد لخدمتك وخدمة زوجك ولكن بشرط الا يكون لي شأن مع السادة الفوضويين . وقد ذكرت ذلك لوزير الداخلية حين انتدبت لهذه المهمة ، وذكرته كذلك لجلالة القيصر .

- هل ذكر لك جلالة القيصر شيئا عن المهمة التي انتدبت لها .

- إن رجاله انتزعوني من القطار قبل أن أصل إلى موسكو ، وذهبوا بي توا إلى قصر (تزاكوي سيلو) حيث وجدت جلالة القيصر في انتظاري . إنه في الحق رجل ظريف وقد فهمت منه انه من اكثر الناس

اهتماما بقراءة الصحف الفرنسية وانباء رجال البوليس الفرنسي وحوادث "ارسين لوبين" .

فنظرت إليه "ماترينا بتروفنا" كمن لم يفهم من كلام محدثه شيئا وغمغمت :

- "ارسين لوبين" ! عفوايا سيدي فإنني لا أجد متسعا من الوقت لقراءة الصحف الأجنبية . ولكن ماذا قال جلالة القيصر .

- قال لي إن رجال البوليس السري في فرنسا قد تعلموا بفضل "ارسين لوبين" طريقة كشف الجرائم الغامضة ، والألغاز المستعصية .. وانه لذلك قد طلب انتداب أحد مفتشي البوليس للتعاون مع رجال بوليس موسكو على حل مشكلة غير عادية .

ولما انباته بانني لا اود أن تتوتر العلاقات الودية بيني وبين السادة الفوضويين وأريد العودة إلى وطني وراسي بين كتفي .. قال لي وهو يبتسم :

إن المهمة التي انتدبت لها ليست من المهام السياسية .. ولكنها مهمة تنصب على إنقاذ حياة خادمه المخلص الجنرال "تريباسوف" .. الذي أوشك أن يذهب ضحية أغرب ماساة عائلية يمكن أن ..

فامتقع وجه "ماترينا بتروفنا" في الحال وهتفت :

- آه ..

ولاحظ "بوريل" امتقاعها وارتجاف اصابع يدها . فاستطرد دون أن يبدو عليه انه لاحظ شيئا :

- وقد قال لي القيصر بالحرف الواحد :

«إنني وزوجة الجنرال نلح عليك بالا تدخر وسعا في إنقاذ زوجها ومعرفة مصدر الخطر الذي يهدد حياته . والآن تستطيع أن تذهب لمقابلة زوجة الجنرال فإنها تنتظرك على أحر من الجمر» .

وصمت "بوريل" .. وانتظر جواب "ماترينا بتروفنا" ففكرت هذه لحظة. ثم سالت :

- هل قابلت الجنرال "كوبريان" ؟

- تعنين مدير البوليس ؟ نعم .. إنني قابلته . وقد رافقني بعد انصرافي من القصر الامبراطوري . وبفضله قوبلت في المحطة مقابلة

الملوك .

وهنا صمتت "ماترينا بتروفنا" لحظة . ثم قالت وهي تجاهد لإخفاء انفعالها واضطرابها .

- أصغ إلي يا مسيو "بوريل" . إنني لست عند راي الجنرال "كوبريان" ولست كذلك عند رأي جلالة القيصر ، وأريد أن اتحدث إليك في صراحة حتى لاتندم فيما بعد على تدخلك في أمر لا يخلو من المتاعب والأخطار .

إن زوجي لم يكن ولن يكون ضحية اية ماساة عائلية فاسرتنا صغيرة وتتكون مني ومن الجنرال والآنسة "ناتاشا" ابنة الجنرال من زوجته الأولى . فلا محل إذن لأية ماساة بين ثلاثتنا . لأننا اسرة اعضاؤها متحدون ومتحابون .. كل ما في الأمر أن هناك طائفة من الفوضويين تحاول اغتيال زوجي لأنه جندي مخلص قام بواجبه نحو عرش جلالة القيصر .. هذا كل ما هنالك يا سيدي العزيز .

وكانما أرادت زوجة الجنرال أن تغير مجرى الحديث لأنها قالت على الأثر :

- ارى انك جائع يا سيدي . وهذا مخيف . سندعوك لتناول الطعام معنا في التو واللحظة ، وعليك بعد الطعام أن تذهب في سبيلك .. نعم.. عليك أن تذهب في سبيلك وتترك لي مهمة الدفاع عن حياة زوجي.. ساحاول أن انقذه بمفردي ساحاول وقد نطقت بالعبارة الأخيرة بصوت ينم عن الحزن والانفعال .. واغرورقت عيناها بالدموع.. فقال "بوريل" :

- مهما يكن من أمر يا سيدتي فإن في استطاعتي أن اتعاون معك ، وقد قال لي "كوبريان" إن في الأمر سرا عويصا وأنا رجل مشغوف بكشف الأسرار العميقة وحل الألغاز المستعصية .

فهزت "ماترينا بتروفنا" رأسها وقالت :

- إنني اعرف رأي "كوبريان" ووجهة نظره .. ولكني لا اقره عليهما .

ثم نظرت إلى "بوريل" بعينيها الواسعتين الساحرتين المغرورقتين بالدموع وقالت :

- لماذا لاتاكل يا سيدي .. تناول ما شئت من هذا الطعام وانس كل

ماسمعته من "كوبريان" .. نعم .. اجتهد متى عدت إلى بلادك أن تنسى كل ما سمعته .

- إنني أعدك بذلك يا سيدتي ..

- إنه القيصر هو الذي أصر على استقدامك . أما أنا فاعتقد انه لايزال في استطاعتي ان أدافع عن زوجي . وسالت الدموع من عينيها.. وهنا تذكر "بوريل" ما سمعه "كوبريان" عن بسالة هذه الزوجة في مقاومة الموت الذي يطوف ببيتها ويهدد زوجها .. تناول أصابعها المرصعة بالخواتم الماسية وشد عليها بين يديه . وقال في لطف :

- لاتبكي يا سيدتي .. إنهم يريدون قتل زوجك .. أليس كذلك .. فلنتعاون إذن على النضال ، وأعدك بالا أدع أحدا يمس شعرة واحدة من رأس الجنرال .

- أتتعاون معي .. ضد الفوضويين ؟

- بل ضد العالم أجمع يا سيدتي .. إنني أكلت أكثر طعامك .. واصبحت ضيفك .. وصديقك .

وهنا شعر بأصابعها تشد على يده بحرارة .

قالت له :

- لقد حدثني "كوبريان" كثيرا عن براعة رجال البوليس الفرنسي . وقد حدث هنا منذ بضعة أسابيع حادث غامض سأذكره لك فيما بعد .. فحفز هذا الحادث "كوبريان" على الاستعانة بأحد رجالكم .. وفاتح القيصر في ذلك فوافق .. وأصدر تعليماته إلى السفارة الروسية في باريس لاستقدامك .

- آه .. وهكذا علم الناس جميعا بأنني منتدب لمهمة في روسيا.. وكانت النتيجة ان أحد السادة الفوضويين المبعدين في فرنسا فاجأني في القطار وأطلق علي الرصاص ليمنعني من الوصول إلى روسيا.

- يا إلهي .. وهل قتلك .

فأجاب "بوريل" وهو يبتسم :

- لا بالتأكيد .. ولكن رصاصاته أصابت أحد المسافرين معنا في المركبة فقتلته على الأثر ..

- ولاذ الشقي بالفرار ؟

- إنه وثب من القطار فسقط على الأرض وتهشمت جمجمته .
- يا لك من مسكين ، إذن قد قرر الأشقياء إعدامك أيضا.
- سوف يحاولون كثيرا قبل أن تصيبني قنابلهم ورصاصاتهم . والآن .. هل لك أن تسردي علي شيئا مما حدث لزوجك ؟
- يجب أن تتناول الطعام معنا أولا ، وأن أقدمك إلى زوجي وابنته .
وفي هذه اللحظة حانت من "بوريل" التفاتة إلى حديقة المنزل ، فرأى بعض الرجال يجوسون خلالها فهمس:
- رجال البوليس .. أليس كذلك ؟
فاطرقت "مارتينا بتروفنا" برأسها علامة الإيجاب .
سألها كم عددهم ؟
- عشرة رجال .. وهم يستبدلون بغيرهم كل ست ساعات .
- أي أن أربعين رجلا مجهولا يدخلون هذا المنزل كل يوم .
- إنهم ليسوا مجهولين . إنهم من رجال البوليس .
- ورغم ذلك فقد وجدت قنبلة في غرفة الجنرال .
- لم يكن يحرس المنزل وقتئذ غير ثلاثة رجال .. وقد زاد عددهم عقب هذا الحادث إلى عشرة .
- وبعد أن أصبح عددهم عشرة وقع حادث فقاطعته في قلق :
- أي حادث ! ؟
- أنت تعلمين . وقع حادث الأرض .. فرفعت سبابتها إلى شفتيها وهتفت :
- صه ..
ونظرت حولها في جزع كأنها تخشى أن يكون هناك من سمع هذا الحديث .
ثم همست .
- لا يوجد من يعلم بهذا الحادث . حتى ولازوجي .
- هذا ماقاله لي الجنرال "كوبريان" . إنه الذي اقترح عليك وضع عشرة من رجال البوليس لحراسة المنزل ..
- بالتأكيد ..
- إذن يجب أن تبدئي بطرد هؤلاء الرجال فامسكت بيده في فزع .

وسالت :

- أطردهم ؟ ماذا تعني ؟

- من الضروري معرفة مصدر الخطر .. وهذا المنزل يجمع أربعة عناصر من الناس : رجال البوليس .. والخدم وأصدقاء الأسرة .. وأفراد الأسرة .. ويجب الآن أن نبدأ بإبعاد عنصر البوليس .. فنحن لسنا بحاجة إليهم في الوقت الحاضر .. بل إنك لم تكوني قط بحاجة إليهم .. وقد رايت أنهم لم يستطيعوا منع أية محاولة من المحاولات التي أوشكت أن تذهب بحياة زوجك .. سرحيهم .. وسوف لا تندمين على التخلص منهم ..

- ولكنك لا تعرف رجال "كوبريان" .. فقد برهنوا حتى الآن على إخلاص منقطع النظير ..

- أصغي إلي يا سيدتي .. إنني عندما أرى أحد الفوضويين أسال نفسي في الحال ترى هل هو من رجال البوليس ؟ وإذا رأيت رجلا من البوليس سالت نفسي كذلك ترى هل هو من الفوضويين ؟؟

- أعلم أن فوضى المبادئ السياسية جعلت من المتعذر التمييز بين الصديق والعدو .. ولكن .

وترددت لحظة ثم استطردت :

- ولكني أعتقد أنهم لا يطيعونني إذا أمرتهم بالانصراف .

- هل بينهم من يتكلم اللغة الفرنسية ؟

- إن رئيسهم يفهم هذه اللغة .. وهو قائم بالحراسة في الغرفة المقابلة ..

- دعيني أتحدث إليه .

ولما اقبل الرجل الذي تكلمت عنه زوجة الجنرال بسط أمامه "بوريل" ورقة وعليها توقيع الجنرال "كوبريان" وقال له :

- والآن عليك أن تأمر رجالك بالجلاء عن هذا المنزل ، وأن تذهب بهم إلى الجنرال ""كوبريان" وتنبئه بانني الذي أمرتكم بالانصراف ، لأنني لست بحاجة إلى التعاون معكم في الوقت الحاضر .

فحنى الرجل قامته باحترام .. ونظر إلى "ماترينا بتروفنا" نظرة تساؤل .. ولكنها أطرقت برأسها .. فانصرف الرجل دون أن ينطق

بكلمة .

قالت "ماترينا" بشيء من الضراعة :

- ارجوك ان تنتظرني لحظة .. وانصرفت في اثر الرجل ، ثم عادت بعد بضع ثوان وقالت تحدث "بوريل" .

- لم اشا ان ادع هؤلاء الرجال الأمناء ينصرفون هكذا .. وقد سالوني هل انا غير راضية عن عملهم . ولكني طمانتهم .. واعطيتهم شيئا من النقود .

فقال "بوريل" :

- هذا صحيح .. ولكنك فعلت أكبر من ذلك .. اذكري الحقيقة يا سيدتي .. إنك طلبت إليهم الا يبعدوا كثيرا عن المنزل .. وأن يستمروا في الحراسة عن كثب فاحمر وجه "ماترينا بتروفنا" وقالت:

- نعم .. لقد طلبت منهم ذلك .. ولكنهم انصرفوا على كل حال .. لأنهم لا يستطيعون مخالفتك . ما هذه الورقة التي بسطتها أمام كبيرهم ؟

- إنها أمر من "كوبريان" لجميع رجال البوليس الذين يحرسون هذا المنزل بان يطيعوني وينزلوا على إرادتي .

- لو علم "كوبريان" بانك ستستخدم هذا الأمر لطرد رجاله من المنزل لما زودك به .

- الواقع انني لم اساله رايه في هذا . ولكني أستطيع التفاهم معه غدا .

فهتفت :

- ولكن من ذا الذي يقوم على حراسة المنزل إلى أن يتم ذلك التفاهم مع "كوبريان" ؟

فنظر في عينيها الواسعتين الساحرتين وقال بلهجة الواثق بنفسه:

- نحن ..

الفصل الثاني
الحراسة

كانت الساعة التي قضاها "بوريل" مع الجنرال "فيودور تريباسوف" وضيوفه في غرفة الطعام كافية لأن تكشف له عن كثير من الحقائق التي كان يتعين عليه الإلمام بها .

علم أولا أن الجنرال "تريباسوف" رجل رابط الجاش لا تخيفه المؤامرات التي تدبر حوله ، ولاتزعجه الأخطار التي تتهدده ، وانه رجل مسرف في الشراب ، محب للدعابة ، محبوب من زوجته وابنته "ناتاشا" .

وعلم ثانيا أن هناك ضابطين من حاشية الجنرال يتزاحمان حول "ناتاشا" . أحدهما "بوريس مورازوف" والثاني هو "ميشيل كورساكوف" .

وعلم ثالثا أن "بوريس مورازوف" ، وإن يكن من أخلص اتباع الجنرال "تريباسوف" ، إلا أنه شاب رقيق الإحساس وقد نظم القصائد الشعرية في رثاء الشباب الذين أعدموا في الثورة الأخيرة وشاركته "ناتاشا" هذا الشعور ، فراحت تتغنى بقصائده وتوقع الحانها على البيانو .

قضى "بوريل" بين القوم ساعة أو بعض ساعة تظاهر فيها بالاهتمام بالطعام والإصغاء إلى ما يدور حوله من الأحاديث والاستماع أخيرا إلى "ناتاشا" وهي تغني بصوتها الساحر .

وكان الجميع يتحدثون باللغة الفرنسية حتى لا يشعر "بوريل" بالحرج . وسرعان ما ساد جو المكان شيء من الألفة صرف الأذهان والأنظار عن الضيف الجديد الذي راح بدوره يداعب كلبا ضخما أنس إليه بسهولة وجعل يبصبص بذنبه كلما مسته يد "بوريل" .

وبينما كان القوم يقهقهون لنكتة نطق بها المستشار "إيفنان بتروفتش" بحثت "ماترين بتروفنا" حولها عن "بوريل" فلم تجد له اثرا انطلقت من الغرفة وراحت تبحث عنه ووقع بصرها عليه فجاة وهو

يخرج من إحدى الغرف والكلب في أثره .

قال لها وهو يبتسم :

- هذه غرفة انيقة يدل أثاثها ونظامها على ذوق سليم فاجابته .

- إنها خاصة بالأنسة "ناتاشا" .. وتتصل بمخدعها .

- هذا ما لا حظته ، ولكن ما رأيك في هذا الكلب ياسيدتي هل أنت مطمئنة إلى حراسته وذكائه ؟

- إنه كلب مخلص . ونحن نعتمد عليه كثيرا . وقد أمر "كوبريان" بان نحبسه في الحديقة . وأكبر الظن انه يخاف على رجاله أن يلتهمهم هذا الكلب الأمين .

فهز "بوريل" راسه وقال :

- لقد أحسن "كوبريان" صنعا . فالكلاب لا تفيد إلا في مراقبة الغرباء..

ونظر إليها نظرة ذات معنى . فاطرقت برأسها . ثم قالت لتغير مجرى الحديث :

- هلم بنا .. لا شك أنهم شعروا بغيابك كما شعرت .

- أود أن تحدثيني عن حوادث الاعتداء التي جرت ضد زوجك .

- هناك .. هناك .. في الغرفة حيث ينتظرنا الجميع لا استطيع أن اترك زوجي دون حراسة .. ودفعته "بوريل" أمامها إلى حيث كان القوم يتحدثون ويضحكون ..

وجدا الجنرال لا يزال يصغي إلى "إيفان بتروفتش" . وابصرا "ناتاشا" وهي تتحدث إلى "ميشيل كورساكوف" . أما "بوريس" فكان لا يحول عينيه عن "ناتاشا" .

انتحت "ماترينا بتروفنا" بـ "بوريل" ناحية .. وراحت تسرد عليه حوادث الاعتداء قالت :

- لقد وقعت ضد زوجي ثلاث حوادث اعتداء . الحادث الأول في موسكو .. كان زوجي يوم الحادث يتاهب للخروج . فحمل إليه أحد اتباعه نسخة من المنشور الذي الصقه الفوضويون على جدران المنازل، وصرحوا فيه بانهم قرروا قتل زوجي فلما قرا الجنرال محتويات المنشور صرف الذين اعتادوا مرافقته في روحاته وغدواته . فسالته عن

غرضه من ذلك . فاجاب بانه يريد اجتياز شوارع المدينة جميعا دون حرس أو اتباع ، ليثبت لأهل موسكو انه رجل لا يخشى التهديد والوعيد . فصممت على مرافقته .. ففكر قليلا ثم قال "حسنا .. إن مرافقتك إياي سيكون لها وقعها في النفوس" .

وانطلقت بنا المركبة في شوارع المدينة وكان السائق كلما ساد الجياد لتسرع .. انتهره زوجي وامره بان يبطئ في سيره حتى لا يتوهم احد انه خائف .

وقد لا حظت يومئذ أن المارة كانوايفرون فزعا كلما وقعت ابصارهم على مركبتنا . وقد اغرق زوجي في الضحك عندما لاحظ ذلك .. وقال لي بصوت ينم عن الأسف "إن أهل المدينة يفسحون لي الطريق ، إنهم يفزعون مني كما لوكنت جلادهم ولكنهم لا يعلمون كم أحبهم وأعطف عليهم" .

واستمرت المركبة في طريقها .. وراحت تنتقل بنا من شارع إلى شارع دون أن يقع حادث .

بيد اننا لم نكد نجتاز الميدان الاحمر حتى صادفتنا طائفة من رجال البوليس وبينهم سجينان .. أحدهما شاب في مقتبل العمر ، والآخر طفل في التاسعة من عمره وكان أحد الجنود ينهال بالسوط على جسم الطفل ، والطفل يتمرغ على الأرض ويصرخ صراخا محزنا يفتت الأكباد .

أما الشاب فكان يتلقى ضربات السياط دون أن ينطق بكلمة ودون أن يحول راسه يمنة أو يسرة ..

هالني هذا المنظر فاستوقفت المركبة ، وصرخت بالضابط الذي يرافق رجال الشرطة :

- الا تخجل يا هذا ؟ كيف تجرؤ على ضرب غلام كهذا لا يستطيع عن نفسه دفاعا ؟

فاجاب الضابط بان هذا الغلام قد قتل أحد ضباط البوليس برصاصة أطلقها عليه في عرض الطريق .

واخرج الضابط المسدس الذي استعمله الغلام .

كان اضخم مسدس رأيته في حياتي ، وقد ادهشني أن يتمكن مثل

ذلك الغلام الصغير من حمله وإطلاقه .

قال زوجي محدثا الضابط :

- وهذا الشاب ، ماذا فعل ؟

فاجاب الضابط :

- إنه طالب خطر وقد حاصرنا البيت الذي يقطنه ، ولما أوشكنا أن نهدم البيت بقنابل المدافع سلم الشقي نفسه ، لاخوفاً من القنابل ، وإنما اشفاقاً على صاحب البيت من أن يتهدم بيته .

- هذا حسن ، ولكن لماذا تضربونه بالسياط ؟

- لأنه طالب خطر .

فاجاب زوجي .

- هذا السبب لا يكفي ، إنه سيعدم إذا كان يستحق الإعدام ، وكذلك هذا الغلام ، فينبغي الا يضربا .. إنكم أعطيتم هذه السياط لا لضرب المعتقلين العزل من السلاح ، وإنما لتشتيت الجماهير التي ترفض إطاعة الأوامر . هل سمعتم ؟

إنني آمركم بالاتضربوا هذين السجينين ، انا الجنرال "تريباسوف" حاكم موسكو العسكري .

وقد كان ما قاله زوجي هو عين الحكمة وعين الإنصاف ولكنه لقي جزاء سنمار ، لأنه ما كاد ينطق باسمه ويقول إنه حاكم موسكو العسكري حتى هتف الطالب :

- أهذا أنت يا "تريباسوف" ؟

وشهر مسدسا لا اعلم أين كان يخبئه .. وراح يطلق رصاصاته علينا .

لم يصب زوجي باذى لحسن الحظ .. أما انا فقد القيت بنفسي على ذلك الطالب الخطر ، وامسكت بساعده حتى لا يصيب الهدف .. وما زلت ممسكة به هكذا حتى افاق رجال البوليس من دهشتهم وذعرهم وأسرعوا لمعاونتي .. فطرحوا الشاب أرضا وانهالوا عليه ضربا بالسياط والأحذية .

كانت الرصاصات لاتزال تنقذف من فوهة المسدس .. فاصابت ثلاثة من رجال الشرطة ، وصرعتهم في الحال .

وعندئذ وثب زوجي من مركبته ، ولكم أحد رجال الشرطة الذين كادوا يبطشون بالطالب ، وأجلس هذا الأخير في المركبة وذهب به إلى أقرب مركز للبوليس .

هذه هي أولى المحاولات .. ولكنها لم تكن محاولة مدبرة ، بل كانت في الواقع معركة كغيرها من المعارك التي نشبت في الأيام السابقة بين الفوضويين ورجال البوليس .

على أنه لم تكد تنقضي بضعة أيام حتى وقعت المحاولة الثانية لاغتيال زوجي .

وفي هذه اللحظة دخل "أورميلوف" حاملا بعض زجاجات الشراب ، فقال "بوريل" محدثا "ماترينا" .

- والمحاولة الثانية ؟

فاجابت :

- وقعت المحاولة الثانية في موسكو كذلك .. وكان وقوعها على غير انتظار .

كنا قد تناولنا طعام الغداء وخرجنا للنزهة ، ومعنا الضابط "بوريس" .. أما "ناتاشا" فكانت قد ذهبت لزيارة بعض الأصدقاء..

وكانت الثورة قد أخمدت تماما . وأخلد أهل العاصمة إلى الهدوء حتى خيل إلينا أن المياه عادت إلى مجاريها .. وأن الفتنة قد خباأوارها ..

ولكن المركبة ما كادت تسير بنا بضعة أمتار حتى دوى صوت انفجارها هائلا . ووجدنا انفسنا باسرع من لمح البصر ممددين على الأرض . وقد تبددت المركبة تماما ونفق الجوادان .

أما زوجي فقد أصابته إحدى شظايا القنبلة فجرحت ساقه جرحا بليغا لا يزال يعانيه حتى الآن .

وأما أنا "وبوريس" فلم نصب بغير خدوش .

وأما السائق المسكين فلم يبق منه غير قبعته وسط بحيرة من الدماء.. والظاهر أن الأشقياء وضعوا القنبلة تحت مقعده . فلما انفجرت في الوقت المناسب مزقت جسمه إربا .

وقد لزم زوجي الفراش شهرين متواليين ، حدث بعدها أن فاجانا

اثنين من الجنود في الطابق الأول من قصرنا ، ولم يكن لهما عمل في القصر فالقي القبض عليهما . وثبت عند التحقيق أن لهما صلة بالفوضويين والثوار فاعدما شنقا .

ولم يستطع زوجي أن يضطلع باعباء منصبه بعد هذه الإصابة فاحل جلالة القيصر محله حاكما عسكريا آخر بصفة مؤقته . وحزم زوجي أمره على السفر إلى فرنسا للاستشفاء ، فرحلنا بالقطار إلى "بطرسبرج" . غير أن زوجي أصيب بالحمى في أثناء هذه الرحلة .

ونصح له الأطباء بالراحة التامة فجئنا إلى هذا المنزل الخلوي .

وهنا كفت "ماترينا بتروفنا" عن الكلام لأن الغرفة امتلأت باصوات القهقهة والضحك على اثر نكته مستملحة فاه بها المستشار "إيفان بتروفتش" . قال "بوريل" محدثا زوجة الجنرال :

- إنهم من اشد الناس مرحا ، رغم علمهم بأن هذا المنزل عرضة للنسف في كل لحظة ، وحانت من الجنرال التفاتة فلاحظ علامات الدهشة المرتسمة على وجه "بوريل" وأدرك معناها فقال له وهو يضحك:

- هل يدهشك أن ترانا نمزح ونمرح يا سيدي المفتش ؟

فاجاب "بوريل" .

- الواقع أن هذا المرح إن دل على شيء فعلى البسالة .

فقال "إيفان بتروفتش" :

- نحن نعتمد في سلامتنا على رعاية الله وحراسته أما رجال البوليس فليست لي بهم ثقة .

فقال الضابط "ميشيل كورساكوف" .

- لقد تجولت في الحديقة قبل الطعام .. فلم أر أثرا لرجال البوليس ..

فسالت "ناتاشا" في شيء من القلق :

- أين ذهبوا إذن ؟.

فقالت "ماترينا بتروفنا" وهي تحاول التظاهر بالهدوء والاطمئنان:

- لقد أمرهم "كوبريان" بالجلاء .

فسالها "ميشيل" :

- الم يستبدلوا بغيرهم ؟

- لا .. وهذا مالااستطيع أن افهمه .. ولاشك انه حدث خطا في تنفيذ أوامر مدير البوليس .

فقال الجنرال :

- إنني في الحق شديد الارتياح إلى رحيلهم .. ويسرني أن يرى منزلي خلوا منهم . ولو يوما واحدا .

وهنا اقترح الضابطان ان يقضيا الليل في المنزل لحراسته بالتناوب..

فصاح الجنرال .

- لا .. لا .. يجب أن يذهب كل منكما إلى مرقده أريد أن أرى منزلي في حالته العادية .. اما رحيل رجال البوليس فإنه إن دل على شيء فعلى أن ثقة "كوبريان" برجال البوليس ليست أعظم من ثقتي بخدمي .. وبعد .. فإن مركز البوليس قريب من هنا .. وفي الاستطاعة أن تستنجد بهم وقت الحاجة .. نعم .. نعم .. لا أريد جواسيس هنا .. ولا أريد حرسا خاصا .. طاب مساؤكم أيها السادة .. عودوا جميعا إلى منازلكم .

وهنا اقتربت "بتروفنا" من زوجها لتدفع مقعده المتحرك فاستطرد الجنرال كانه يحدث نفسه .

- لا .. لا .. لا أريد هنا أحدا من رجال البوليس .. إن وجودهم يجلب النحس والشؤم . فقالت له زوجته بلهجة العتب .

- "فيودور" .. "فيودور" .. إنهم يسهرون على حياتك العزيزة .. فاجاب الجنرال .

- إنني لا اقيم وزنا للحياة إلا من أجلك يا "ماترينا" .

فهتفت "ناتاشا" .

- وأنا يا أبي !

فقال الجنرال مستدركا :

- ومن أجلك كذلك يا ابنتي وتناول يد زوجته وابنته وقبلهما .

الفصل الثالث

حقائق

مكثت "ماترينا بتروفنا" ساعة أو بعض الساعة بالقرب من زوجها حتى إذا سمعت الجنرال يغط في نومه ، نهضت من مقعدها وسارت على أطراف إصابعها حتى بلغت الباب ، فاوصدته وأخذت تطوف بانحاء المنزل باحثة منقبة ..

لم تكن تشعر بمثل القلق الذي شعرت به في الليالي السابقة . ليس فقط لشعورها بوجود "بوريل" على مقربة منها وإنما كذلك لأنها ارتاحت من مراقبة رجال البوليس

نعم . إنها كانت في الليالي السابقة ترقب الأبواب والنوافذ والخدم ورجال البوليس . اما الآن فإنها تخلصت من وجود هذا العنصر الغريب في بيتها ، وأصبحت مهمتها محدودة

طافت بغرف المنزل ، واغلقت النوافذ والأبواب ، ووصلت إلى الباب الخارجي ، واطمانت إلى انه مغلق .

ولكن أدهشها انها لم تر اثراً لـ "بوريل" ، فاين ذهب ؟ أين اختفى ؟
وتحولت لتعود ادراجها إلى غرفة زوجها ، ثم أجفلت ، وجمدت في مكانها .

ذلك أنها رات شبحا ينتصب في الظلام فجاة .

هتفت :

– من هذا ؟

فاجابها صوت طروب :

– أنا ..

– مسيو "بوريل" ، يا إلهي ، لقد أرعبتني ، أين كنت أيها الشيطان ؟

– لقد رأيتك تغلقين النوافذ والأبواب بعناية .. وهي حيطة تشكرين عليها .

– ولكن اين كنت ؟ إنني فتشت كل ركن في المنزل وبحثت في كل غرفة.

- كنت مختبئا تحت مائدة الطعام ..

- آه . تحت المائدة ، لقد أمرت الخدم مرارا بألا يضعوا على الموائد أغطية كبيرة تخفي ما تحتها . ولكن هل رأيت أو سمعت شيئا وأنت في مخبئك ؟

- وماذا يستطيع الإنسان أن يراه أو يسمعه في هذا المنزل مادام زوجك قد نام والآنسة "ناتاشا" تستعد للنوم ؟

- هذا صحيح . هذا صحيح .

وتناولت يده . وذهبت به إلى مقعد كبير في الدهليز .

فأجلسته هناك . وجلست بجانبه . وسألته في شيء من القلق :

- وفي الحديقة ؟ هل رأيت أو سمعت شيئا هناك؟

- سمعت الضابط "بوريس" يقول لزميله "ميشيل" وهما ينصرفان . "ألا تذهب إلى المدينة توا ؟" فأجابه "ميشيل" بالنفي ثم دار بينهما جدل باللغة الروسية لم أفهم منه كلمة واحدة .. ولكني أدركت من صوتهما ولهجتهما أنهما ليسا على وفاق ، وأن كلا منهما لا يحب الآخر .

- نعم إن كلا منهما لا يحب الآخر . وكلاهما يحب "ناتاشا" .

- وأيهما تحبه الآنسة "ناتاشا" ؟ يهمني أن أعرف .

- إنها تزعم أنها تحب "بوريس" .. وفي اعتقادي أنها تحبه ... ولكني ألاحظ أن لها بـ"ميشيل" صلة وثيقة .. فهي التي تبادئه الحديث دائما ، وذلك مما يثير غيرة "بوريس" وغضبه ..

وقد حظرت "ناتاشا" على "بوريس" أن يطلب يدها .. بحجة أنها لا تريد أن تبتعد عن أبيها في هذه الظروف الدقيقة التي تراه فيها مهددا بالقتل في أية لحظة ..

- وأنت يا سيدتي . هل تحبين ابنة زوجك ؟

فأجابت "ماترينا بتروفنا" بلهجة تنم عن الصراحة والإخلاص

- نعم . إنني أحبها ؟

- وهل تبادلك الآنسة "ناتاشا" هذا الحب ؟

- أعتقد ذلك . نعم . أعتقد أنها تحبني . وليس ثمة ما يدعوها لأن تضغن علي ، لقد قلت لك منذ البداية إننا نعيش في هذا المنزل في وئام تام ، وقد ازداد هذا الوئام عقب حوادث الاعتداء .

فقاطعها "بوريل" :
- إنك لم تسردي علي ، تفاصيل الحادث الثالث :
فهمت "ماترينا" بان تجيب . ثم امتنعت فجاة . وارهفت اذنيها . وهمست :
- انصت .
فاصاخ "بوريل" السمع . ولكنه لم يتبين شيئا ..
سالته في همس وذعر :
- الا تسمع دقات كدقات الساعة .
- لا لست أسمع شيئا .
- اصغ . اصغ جيدا .. دقات كدقات الساعة .
- وكيف تسمعين هذه الدقات .. وقد لاحظت أن جميع الساعات في هذا المنزل معطلة ؟
- إننا عطلناها .. لكي نتمكن من تمييز دقات الساعات التي تنظم انفجار القنابل .
لقد أدركت ذلك . ولكني لا أسمع الآن صوت هذه الدقات .
حمدا لله . منذ حادث الاعتداء الثالث وصوت دقات الساعة يدوي في اذني . إنني اسمعه ليل نهار . وكثيرا ما كنت اسال رجال البوليس هل يسمعون هذه الدقات فيجيبوني بالنفي .
أصغ ..أصغ .
فارهف "بوريل" اذنيه ثم قال .
- إنني أسمع كلاما .. ونحيبا .
- صه . إن الجنرال يهذي .
وذهبت به إلى قاعة الطعام لكي لا يسمع هذيان الجنرال وهناك قالت له :
- هل يدهشك اننا عطلنا جميع الساعات في المنزل لقد نصح لنا "كوبريان" بان نفعل ذلك .. لكي يسهل علينا تمييز صوت القنابل التي تنفجر بجهاز كجهاز الساعات ..
فقاطعها "بوريل" بقوله :
- سيدتي ... إنني أسمع انينا مزعجا

- لا .. لا تنزعج يا صديقي . إن الجنرال يهذي في نومه كما قلت لك.. إنه لا يغمض له جفن في أثناء الليل إلا إذا تناول بعض العقاقير المخدرة ومتى تناول هذه العقاقير اصابته حمى .. فراح يهذي .
والآن لنعد إلى حديثنا .. سأذكر لك تفاصيل الحادث الثالث .. لتفهم سر انزعاجي من صوت دقات الساعة
- حدث ذات مساء أن قصد زوجي إلى مخدعه مبكرا . فانطلقت بدوري إلى غرفتي وما كاد يستقر بي المقام فيها حتى سمعت دقات كدقات الساعات .
كنت أعلم أن جميع الساعات في المنزل معطلة
فاستولى علي الذعر وأصخت السمع جيدا ... حتى تبين لي أن صوت الدقات صادر من غرفة زوجي ..
أسرعت إلى تلك الغرفة ..فوجدت زوجي مستغرقا في نومه ..
وكانت الدقات تدوي في اذني بشدة . ولكن اين مصدرها ؟
أخذت أدور حول نفسي كالمجنونة.. وانا اتوقع في كل لحظة أن تنفجر الآلة الجهنمية فتهدم المنزل وتمزق اجسادنا
القيت بنفسي على الأرض .. وأصغيت .. والصقت أذني بفراش زوجي .. وخيل إلي أن الصوت صادر من الموقد .. فوثبت نحوه ودفنت أصابعي في رماده . ولكني لم أجد شيئا ..
وأخيرا خيل إلي أن الصوت صادر من الفراش فرفعت الاغطية. واستيقظ زوجي في هذه اللحظة وصاح بي :
- ماذا أصابك يا "ماترينا" ؟
فصرخت : "أصغ .. أصغ .. الا تسمع هذه الدقات المنتظمة ؟" وأحطته بساعدي .. وحاولت أن أحمله . ولكني كنت في أشد حالات الضعف من تاثير الخوف والفزع . فسقط من بين ساعدي . ولم أجد بوسعي إلا أن أصيح في طلب النجدة
غير أن زوجي دفعني وصاح بي :
- اصمتي .. اصمتي ..
وأصاخ السمع معي . وعندئذ تبينا مصدر الصوت .
كانت الدقات صادرة من آنية فضية من أواني الأزهار موضوعة على

مائدة قريبة فاسرعت إلى المائدة وتناولت الآنية .. وقذفت بها من النافذة .

وفي تلك اللحظة بذاتها .. انفجرت القنبلة . واحدث انفجارها دويا هائلا .. وتطايرت إحدى الشظايا فاصابت يدي بجرح بليغ .

بيد أننا نجونا ..وكانت نجاتنا إحدى المعجزات . نعم . إننا لم نكن قط أقرب إلى الموت معا كما كنا في تلك الليلة

قالت ذلك ورسمت على وجهها علامة الصليب ثم استطردت :

- وقد اهتز المنزل من أساسه عندما انفجرت القنبلة .وتحطم زجاج النوافذ جميعا . ولكننا نجونا

- لا شك أن فزع الآنسة "ناتاشا" كان عظيما .

- بالتأكيد يبدو أن "ناتاشا" لم تكن في المنزل في تلك الليلة فقد دعتها والدة "بوريس مورازوف" لتناول العشاء وقضاء الليل في بيتها ولكنها عندما عادت في صباح اليوم التالي علمت بالخطر الذي استهدف له أبوها . القت بنفسها بين ساعدي الجنرال وهي ترتجف واقسمت ألا تبرح المنزل أبدا

وعندما قص عليها أبوها ما فعلته احتضنتني وقبلتني ، وقالت لي إنها ستحبني كما لو كنت أمها .

وقد حاولنا عبثا في الأيام التالية أن نكشف سر القنبلة الجهنمية وكيف وصلت إلى غرفة الجنرال . ذلك لأن أحدا لم يدخل تلك الغرفة سواي وسوى "ناتاشا" وأصدقاء الجنرال الذين رايتهم عندنا الليلة . أما الخدم فكان محظورا عليهم الصعود إلى الطابق الأول . وقد وجدنا جميع النوافذ والأبواب مغلقة كالعادة . ولذلك كان من المدهش أن يتمكن إنسان من الوصول إلى غرفة زوجي دون أن يراه رجال البوليس الذين يحرسون المنزل ويبيتون في إحدى شرفاته .

وعلى أثر هذه المؤامرة المنكرة زيد عدد رجال البوليس الذين يحرسون المنزل إلى عشرة ، خمسة لحراسة الحديقة والباب الخارجي وخمسة للسهر والمراقبة داخل المنزل .

واتفق ذات ليلة بينما كنت أطوف بغرف المنزل في الظلام أن خرج أحد رجال البوليس من وراء أحد الأبواب فحسبته من الفوضويين

وكدت أخنقه بيدي .

وعقب هذا الحادث تم الاتفاق بيني وبين "كوبريان" على أن يقضي رجاله الليل في شرفة المنزل ، بدلا من أن يكمنوا في داخله . وصدرت إليهم التعليمات بألا يبرحوا الشرفة إلا إذا سمعوا صوتا مريبا ، صوت استغاثة ..

بيد أنه لم تنقض بعد ذلك عدة أيام حتى وقع حادث "الأرض" وهو حادث غامض حيرني وأثار فضول "كوبريان" .

- ولكن هل كان رجال البوليس يصعدون إلى الطابق الأول ؟؟

- لا . لقد حظرت عليهم الصعود إلى الطابق الأول بعد حادث باقة الأزهار .

- أرجو أن ترافقيني في الحال إلى غرفة الجنرال ؟

- إلى غرفة الجنرال ؟ ولكنه نائم الآن .. فدعني أقص عليك كيف وقع حادث "الأرض" .

- أرجو أن تذهبي بي في الحال إلى غرفة الجنرال .

قال ذلك وخرج من الغرفة مسرعا . فلم يسعها إلا أن تصعد معه إلى الطابق الأول واقتربت به من الجناح الخاص بها وبزوجها .

فتحت أحد الأبواب .. ووجد"بوريل" نفسه في مخدع أنيق تنبعث منه رائحة عطرية بديعة .

قالت :

- هذا مخدعي .

ثم اجتازت به دهليزا ، وفتحت باب غرفة الجنرال ودخلت .

لم يتبعها "بوريل" على الأثر ، بل وقف لحظة أمام الباب وراح يتأمله بعين فاحصة .

ثم ألقى ببصره إلى داخل الغرفة ، ولم يتمالك من الارتجاف .

رأى الجنرال ممددا في فراشه ، وقد ألقى الصباح على وجهه الممتقع شعاعا شاحبا أكسب تقاطيعه روعة ورهبة .

كان يخيل للناظر إليه أنه أمام جثة أحد جبابرة العصور الوسطى . كانت سحنته منقلبة ، وقد ارتسم عليها الألم والعذاب في أجلى معانيهما .

أخذ يلتقط أنفاسه بصعوبة ، ويحول رأسه على الوسادة ذات اليمين وذات اليسار ، غمغم وهو يلهث :

- وا أسفاه ، لقد هلكت شبيبة موسكو .

قال بصوت محزن يقبض القلب ، صوت إنسان يندب شخصا عزيزا اختطفه الموت قبل الأوان .

كانت هذه العبارة " واأسفاه ، لقد هلكت شبيبة موسكو" هي إحدى العبارات التي ترنمت بها "ناتاشا" بعد العشاء وهي تعزف على البيانو.

كانت إحدى العبارات التي نظمها "ميشيل كورساكوف" في رثاء شباب موسكو الذين هلكوا في الثورة الأخيرة ..

حبس "بوريل" أنفاسه .. وأصغى إلى هذيان الجنرال تمتم هذا الأخير : "أغلقت النوافذ والأبواب . ولطخت الدماء الثلج الناصع الذي يغطي أرض الشارع . فيالها من مذبحة .. يالها من مذبحة.

" لقد هلكت شبيبة موسكو"

وهنا هتفت "ماترينا بتروفنا" :

- "فيدور" .. "فيدور" ..

ففتح الجنرال عينيه . ورأى زوجته . وبدا عليه كأنه لم يعرفها .

استمر يغمغم : "وا أسفاه . هلكت شبيبة موسكو"

فصاحت زوجته وهي تضع يدها على فمه :

- "فيودور" .. "فيودور" ..

فنظر الجنرال حوله مرة أخرى ثم اعتدل في فراشه ، وغمغم في شيء من الأسف .

- هل كنت أهذي أيضا ؟ ثم نهض واستطرد :

- قبح الله هذا المخدر لن أتناوله بعد الآن . لن أقربه بعد الآن.

ونظر إلى المائدة ، حيث توجد الكأس التي كان يتناول منها جرعة كلما استيقظ في أثناء الليل .

أما "بوريل" .. فإنه ظل كامنا في أحد أركان الغرفة . فلم يره الجنرال.

لعن الفضول الذي ساقه إلى تلك الغرفة ، وجعله يرى ذلك المنظر .

تمدد الجنرال في فراشه مرة اخرى واغمض عينيه فجففت زوجته العرق المتصبب على جبينه . وسحبت الأغطية وخرجت من الغرفة .
فوجدت "بوريل" قد سبقها
قالت له في همس :
- هل سمعت ؟ إنه كان يهذي بتلك العبارات المشؤومة التي نظمها "ميشيل" . إنها حفرت في ذهنه . وانطبعت على لسانه .. إنها أهول تكفير عن ذنب لم يقترفه . نعم إنه لم يقترف ذنبا . ولم يفعل شيئاً اكثر من انه قام بواجبه نحو وطنه ، ونحو مولاه القيصر .. بيد أن ..
وكفت "ماترينا بتروفنا" عن الكلام .. ذلك لأنها سمعت فجاة صوت وقع أقدام وكان الصوت واضحا جليا .. وقد سمعه "بوريل" بدوره فوقف في مكانه واخرج مسدسه ، وهمس في أذن "ماترينا":
- ابقي هنا ..
وأراد أن يتقدم وحده لملاقاة الخطر المجهول . ولكن "ماترينا" لم تترك له متسعا من الوقت . بل هتفت باللغه الروسية وبصوت ينم عن القلق والخوف :
- من هذا ؟
فاجابها صوت "ناتاشا" الهادئ بكلمات باللغة الروسية لم يفهمها "بوريل" .
قالت "ماترينا" بالفرنسية :
- نعم .. نعم . كل شيء على مايرام . طاب مساؤك يا "ناتاشا".
وهنا سمع "بوريل" وقع اقدام تبتعد ، ثم صوت باب يغلق وساد السكون لحظة . ثم تحركت "ماترينا" فجاة . فهبطت السلم مسرعة ، وقصدت إلى غرفة الطعام . واضاءت المصباح الكهربائي .. ونظرت إلى المقعد المتحرك الذي اعتاد الجنرال أن يجلس عليه .. ثم تقدمت من هذا المقعد . واجتذبته من موضعه .. وجثت على ركبتيها . ورفعت السجادة في البقعة التي كان يحتلها المقعد .. ونظرت إلى أرض الغرفة. وتنهدت بارتياح .
سالها "بوريل" .
- ماذا حدث ؟

- لا شيء .
- ولكن لماذا ناديت الآنسة "ناتاشا" حين سمعنا وقع الأقدام ؟
- لأنني عرفت مشيتها .
- ولماذا أسرعت في الحال إلى فحص ارض هذه الغرفة .
- أرجو الا تؤول أعمالي بغير معناها السطحي إنني افحص ارض هذه الغرفة كلما استطعت إلى ذلك سبيلا ..
- هل تعتقدين ان الآنسة "ناتاشا" دخلت هذه الغرفة
- لقد قالت لي باللغة الروسية إنها دخلتها .
- ولكن لماذا ؟ !
- لتتناول قدحا من الماء . هاهو القدح لايزال على المائدة .
- أصغي إلي يا سيدتي .. يجب أن توضحي لي مالم يذكره "كوبريان" إلا تلميحا .. لماذا اهتممت بفحص أرض هذه الغرفة حالما سمعت صوت وقع الأقدام ؟
نعم .. أرى من الضروري أن أصارحك بكل شيء .. ما دام من الضروري أن تعرف كل شيء .
لقد اتفق عقب حادث باقة الزهور أنني سمعت وقع خطوات في الطابق الأول . فهبطت السلم مسرعة كما فعلت الآن ، وفتشت جميع الغرف ولكني .. لم اقع على ما يثير الريبة ..
كانت جميع النوافذ والأبواب مغلقة كما تركتها . فقصدت إلى غرفة "ناتاشا" لكي اسألها عما إذا كانت قد سمعت صوت وقع الأقدام كما سمعته .

فتحت باب غرفتها . ودخلت . فوجدتها مستغرقة في نوم عميق.
لم أشأ أن أزعجها وخطر لي زيادة في الحيطة والحذر ان افتش الطابق الأول مرة أخرى .. فهبطت السلم . وبحثت في حميع الغرف . إلى أن دخلت هذه الغرفة وعندئذ لاحظت ان طرف السجادة ليس في موضعه كما يجب .. وأن جانبا من السجادة قد تكدس تحت المقعد المتحرك الذي اعتاد الجنرال أن يجلس عليه .. مما دلني على أن المقعد رفع من مكانه ..
داخلني الشك .. وانتابتني الوساوس . فنقلت المقعد من مكانه ..

ورفعت طرف السجادة . ولم أر في أول الأمر شيئا ..

ولكنني عندما أمعنت النظر لاحظت أن أحد الألواح الخشبية التي تغطي أرض الغرفة بارز قليلا وأن بعض المسامير قد انتزعت منه حديثا . فتناولت سكينا وخطر لي أن أستعين بها لرفع اللوح الخشبي من مكانه ولكنني وجدت انه يتعين علي أن أنتزع عددا آخر من المسامير.

فكرت في الأمر مليا .. وسألت نفسي .. ترى هل هناك مؤامرة جديدة من طراز جديد ؟

وبعد طول التفكير . وجدت أن افضل ما أستطيع أن افعله .. هو أن أترك كل شيء في موضعه .. وأرسل في طلب "كوبريان" .

وهنا قاطعها "بوريل" :

- الم تحدثي أحدا بامر هذا الاكتشاف .

- كلا ..

- ولا الآنسة "ناتاشا" ؟

- ولا الآنسة "ناتاشا" .

- لماذا ؟

فترددت "ماترينا" لحظة ثم أجابت .

- لم أتحدث إلى "ناتاشا" أو إلى زوجي عن هذا الاكتشاف حتى لا يزداد قلقهما .

- وماذا قال "كوبريان" ؟

- إنه فحص الأرض معي . ودس يده بمهارة تحت اللوح الخشبي .. فوجد فجوة صغيرة لاتتسع لوضع قنبله من النوع الذي يستعمله الفوضويون . على أنها كانت قابلة للاتساع . فقال لي "كوبريان" «إنك فاجات الشخص الذي يحفر هذه الفجوة . وكانت المفاجاة في الوقت المناسب . وهذا الاكتشاف من شانه أن يجعل لنا السيطرة على الموقف لأن الشخص الذي يدبر هذه المكيدة الجديدة لايعلم باننا كشفنا أمره فتظاهري بانك لم تلاحظي شيئا ، ولاتتحدثي عن هذا الاكتشاف إلى كائن من كان ودعي زوجك يجلس في مقعده في هذا الركن كالمعتاد ، كان شيئا لم يحدث .. هذه هي افضل طريقة لعدم إزعاج الشقي الذي يدبر

هذه المؤامرة الجديدة، ومنذ ذلك الوقت وأنا أرقب تقدم العمل في أرض غرفة الطعام .

وقد حدث بعد ثلاثة أيام من ذلك الاكتشاف انني كنت في غرفة الجنرال ، فحفزني دافع خفي إلى تفقد اللوح الخشبي في غرفة الطعام. فاسرعت إلى تلك الغرفة ورفعت طرف السجادة . وعندئذ وجدت أن ثلاثة مسامير جديدة قد رفعت من اللوح الخشبي . فدسست يدي تحت اللوح . ووجدت الفجوة لاتزال خالية ولا يوجد بها شيء .

وهنا كفت "ماترينا" عن الكلام . فسألها "بوريل" .

وماذا حدث بعد ذلك ؟

- حدث بعد ذلك أنني أعدت طرف السجادة والمقعد إلى موضعهما وذهبت أستجوب رجال البوليس الذين كانوا في حراسة المنزل . فقالوا جميعا بلهجة التاكيد إنهم لم يروا أحدا يدخل المنزل أو يخرج منه خلال الأيام الثلاثة الأخيرة .

وارتسمت على وجه المرأة علامات الانزعاج ، فسألها "بوريل" :

- أريد أن تحددي وجهة نظرك يا سيدتي .. مادام لم يدخل المنزل أو يخرج منه احد خلال الأيام الثلاثة التي استانف فيها الشخص المجهول عمله في رفع اللوح الخشبي .. فمعنى ذلك أن أحد أهل المنزل هو الذي انتزع المسامير الثلاثة الأخيرة فهزت "ماترينا" رأسها وقالت:

- لك أن تفهم من كلامي ما شئت ..

- لقد فهمت من كلامك أنه لم يكن في مقدور أحد أن يدخل غرفة الطعام سواك والآنسة "ناتاشا" :

فاطرقت برأسها وقالت بصوت حزين :

- إن هناك بعض أمور لاأريد أن أفكر فيها .. ومتى عانقتني "ناتاشا" استنكرت التفكير في تلك الأمور .

إن مسألة اللوح الخشبي محوطة بالغيوم .. وقد اكد لي "كوبريان" أنه يثق برجال البوليس الذين اختارهم لحراسة المنزل . ولكن عزائي الوحيد هو أن ثقته باولئك الرجال أقل من ثقتي بـ "ناتاشا" .

قالت ذلك وجففت دمعتين كبيرتين انحدرتا على وجنتيها .

الفصل الرابع
خطة "بوريل" ج

انقضت تلك الليلة بسلام . فلما بزغت شمس اليوم التالي كانت تبدو على وجه "بوريل" و "ماترينا بتروفنا" علامات التعب والإعياء .

وقد اجتمعا لأول مرة في ذلك النهار حول مائدة الإفطار حيث كانت "ناتاشا" قد سبقتهما..

حيتهما "ناتاشا" بابتسامة .. واستفسرت من "بوريل" عن صحته، ثم قالت على الأثر :

- يخيل إلي أن "كوبريان" قد سحب رجاله من هذا المنزل نهائيا .. فإنني لم أر لهم أثرا اليوم .. ولكني في الحق أشعر بالارتياح إلى انصرافهم .. لأنني أعتقد أنهم هم الذين دبروا حادث قنبلة باقة الأزهار .

فقال "بوريل" :

- أنا الذي أبعدتهم جميعا عن هذا المنزل ياآنسة .. لأنني أرى فيهم مثل رأيك .

فهتفت "ناتاشا" :

- أحقا تقول ؟ إذن دعني أطري مهارتك وبعد نظرك .. سوف نكون أصدقاء يا سيدي العزيز طالما تشاطرني رأيي في هذا الصدد ..

ثم تحولت إلى "ماترينا" واستطردت :

- أؤكد لك أن في استطاعتك الآن أن تنامي مطمئنة .. مادام أولئك الأشقياء قد غادروا المنزل ..

فأجابت "ماترينا" ..

- نعم .. سأنام بعد الآن مطمئنة ناعمة البال ..

قبليني يا "ناتاشا".. إنني أنسى كل شيء حينما تقبلينني ..

هل تحبينني كما لو كنت أمك ؟

- نعم .. أحبك كما لو كنت أمي .

- ألا تخفين عني شيئا أبدا يا "ناتاشا" ؟!

- لا .. لن اخفي عنك شيئا أبدا .
- إذن لماذا تعبثين بقلب "بوريس" وترفضين الاقتران به ؟
- لأنني لا أريد أن أبتعد عنك يا أمي العزيزة .
وقبلت "ماترينا" .. وانطلقت من الغرفة وهي تعدو في خفة ورشاقة..
وهنا هزت "ماترينا" رأسها وقالت :
- إنها فتاة عزيزة .. ولكنها لا تعلم كم تؤلمنا تصرفاتها وآراؤها في بعض الأحيان لقد قال زوجي مرة " إنك لا تعرفين يا "ماترينا" كم أنا مشفق على "ناتاشا" .. إن هذه البنية العزيزة توشك أن تذهب ضحية الآراء المتطرفة والأفكار الثورية التي تقع عليها في بعض الكتب الحديثة . نعم . كان من الأفضل لها ولنا لو أنها لم تتعلم القراءة . إنها تعبر في بعض الأحيان عن آراء جديدة لأولئك الفتيات الثائرات اللائي رأيت منهن كثيرات وراء المتاريس التي أقامها الفوضويون في شوارع موسكو " .
هذا وزوجي يعتبر "بوريس" مسؤولاً ضمنا عن الآراء والأفكار التي تعبر عنها "ناتاشا" في كثير من الأحيان .
فسألها "بوريل" .
- لقد سمعت "بوريس" يسأل "ميشيل" عما إذا كان في نيته أن يذهب معه إلى المدينة فهل يقطن الاثنان بيتا واحدا ؟!
- نعم . إنهما يقطنان منزلا بعيدا يشرف على هذا المنزل وقد عرضا على زوجي أن يقيما خيمة في الحديقة ليكونا بمقربة منا دائما ولكني رفضت لكي أبعدهما عن "ناتاشا" .
وكفت "ماترينا" عن الكلام لأنها أبصرت "ناتاشا" تطل عليهما من النافذة التي تشرف على الحديقة .
كانت تبدو على الفتاة علامات الغبطة والارتياح ...
وقد لمعت عيناها وتوردت وجنتاها ..
قالت تحدث "ماترينا" :
- إنني لم أشعر في حياتي بلذة الحرية كما أشعر بها الآن . لقد كنا مع رجال البوليس في المنزل والحديقة أشبه بالسجناء .. أواه .. كم أود أن أرى وجه "كوبريان" عندما ينبئه رجاله بأنك طردتهم من المنزل..

فقال لها "بوريل" .

- إذا رأيت "كوبريان" فلا تذكري له أن والدك سيخرج للنزهة بعد ظهر اليوم ، وإلا أرسل إلينا فرقة كاملة من رجال البوليس .

فهتفت "ناتاشا" :

- أبي يخرج للنزهة اليوم ؟ أحقا تقول ؟ يالله ..

سوف يسر أبي متى علم بذلك وهنا نهضت "ماترينا" عن مقعدها في جزع وقالت تحدث "بوريل" .

- هل جننت يا سيدي .. هل جننت .. كيف .. ؟

فقاطعتها "ناتاشا" :

- لماذا يا أماه ؟ سأنطلق في الحال لأنبيء أبي .

فقالت "ماترينا" بصوت خشن :

- إن باب غرفته مغلق .

- نعم .. والمفتاح معك .. أنت تسجنينه .. تسجنينه حتى يموت .. أنت تقتلينه .. نعم .. أنت قاتلته ..

وغاب وجهها من النافذة . وبعد لحظة .. سمع "بوريل" وقع خطواتها وهي تصعد السلم .

وهنا حملقت "ماترينا" إلى وجه "بوريل" الذي ظل يتناول طعامه في هدوء . وهتفت :

- هل أنت جاد فيما تقول يا سيدي ؟ أيخرج زوجي للنزهة .. دون حراسة البوليس ؟

هل نسيت أن الثوار يترصدونه ؟ . هل نسيت أننا تسلمنا اليوم بالذات رسالة يهدده فيها الفوضويون بالقتل قبل انقضاء ثمان واربعين ساعة ؟

فقال "بوريل" وهو يرفع قدح القهوة إلى شفتيه :

- ٤٨ ساعة ! ٤٨ ساعة ! إن ذلك في استطاعتهم حقا ، ومهما يكن من أمر فإنني أعلم بأنهم سيقومون بإحدى المحاولات قريبا جدا .

فذعرت "ماترينا" وقالت :

- وكيف علمت بذلك ؟ إنك تتكلم بلهجة التاكيد .
- أصغي إلي يا سيدتي .. يجب أن تنفذي تعليماتي حرفيا .
- ولكن كيف تريد أن أسمح بخروج الجنرال بلا حراسة وكيف تحمل نفسك تبعات هذا العمل الأحمق ومسؤولياته ؟! يا إلهي ، إنني ما زلت أرتجف كلما فكرت في جلاء رجال البوليس . وخلو المنزل من الحراس .. لا ، لا ، إنني وافقت على انصراف رجال البوليس لأنك هنا ولأن "أورميلوف" يستطيع أن يرقب باب المنزل ويفحص كل حزمة وكل علبة يؤتى بها إلى المنزل .
نحن نشعر هنا ببعض الطمانينة . أما في الخارج .
فقاطعها "بوريل" :
- أصغي إلي يا سيدتي . إنهم سيحاولون قتل زوجك قبل انقضاء ٤٨ ساعة . فهل تريدين أن أنقذه ؟
فحولت "ماترينا" راسها وهتفت :
- يا إلهي .. ما أعظم ثقة هذا الرجل بنفسه . ولكن ماذا يقول "كوبريان" الذي حظر علينا مثل هذه النزهة التي تقترحها ؟ نعم .. ماذا يقول؟
فلم يعبأ "بوريل" باحتجاجها وقال :
- سيخرج الجنرال وسنخرج معه للنزهة بعد ظهر اليوم . وليات معنا منَ أصدقاء الجنرال من يشاء وليتخلف من يشاء هل فهمت؟ لماذا ترتجفين؟
- ولكن من ذا الذي سيقوم بحراسة المنزل ؟
- "أورميلوف" . في استطاعته أن يبقى في المنزل لمراقبة الباب دون أن يراه أحد .
- حسنا .. سانزل على إرادتك .. ولكن هل يجب أن نعلن سلفا نبا هذه النزهة ؟
- بالتاكيد ، أعلني هذا النبا وانت مطمئنة .
- ساعلنه للجنرال وأصدقائه فقط .

- على رسلك ، وبهذه المناسبة ، أرجو الا تنتظروني وقت الغداء .

فهتفت "ماترينا" وهي تلهث :

- ماذا ، هل في نيتك أن تبرح المنزل ؟ لا . لا . إنني أستطيع البقاء هنا بدون رجال البوليس ، ولكني لا أستطيع ذلك بدونك .

قد يقع اي حادث في اثناء غيابك ..

- لا تخافي يا سيدتي . سوف أكون على مقربة منك ولكني لن أتناول طعام الغداء معكم . وإذا سال عني سائل فقولي إن القيصر دعاني لمقابلته .

- لن يصدقني أحد إذا قلت ذلك ، ولكن أين ستكون .

- لا أعلم . ولكني ساكون في المنزل ، على كل حال .

وبعد ساعتين ، وفد على المنزل كل من "بوريس مورازوف" .. و"ميشيل كورساكوف" .. و"إيفان بتروفتش" .. فدعاهم الجنرال جميعا لتناول طعام الغداء على مائدته .

وحوالي الساعة الرابعة ، وهو الموعد الذي حدده "بوريل" للنزهة، نقل الجنرال إلى العربة الصغيرة المتحركة التي صنعت له بعد إصابة ساقه ، ووقفت "ماترينا" خلف العربة لكي تدفعها امامها . ولحقت بها "ناتاشا" و"إيفان بتروفتش" والضابطان .وفجاة .. ظهرت على وجه "ماترينا" علامات القلق والتردد ، ولكنها مالبثت أن اطمانت وابتسمت حين رات "بوريل" يظهر أمامها بغتة .

تبادلا نظرة ذات معنى .. فدفعت "ماترينا" عربة زوجها أمامها ، وسار المستشار و"ناتاشا" بجوار عربة الجنرال وتخلف "بوريل" و"بوريس" و"ميشيل" .

واخذ هذا الركب الصغير يتقدم في هدوء .. وراح "بوريس" و"ميشيل" يقطعان الوقت في الحديث ، وكان حديثهما يدور حول إخلاص "ماترينا بتروفنا" لزوجها .. وحب "ناتاشا" لأبيها .. وقد استطاع "بوريل" بلباقته أن يستدرجها إلى ذكر بعض حقائق كان يجهلها .

وقد تكلم "بوريس مورازوف" عن سر الحب العظيم المتبادل بين

"ناتاشا" وابيها .. فقال إن ، والدة "ناتاشا" توفيت بعد أن وضعتها ، فقام الجنرال حيال طفلته بدور الأب والأم معا .. ولما بلغت "ناتاشا" السابعة من عمرها .. عين الجنرال حاكما لولاية "أوريل" .. وهناك تعرف الجنرال إلى أسرة "بيير بتروف" وهو من أغنى تجار الفراء في روسيا .

وكانت لـ"بتروف" هذا ابنة جميلة كالزهرة هي "ماترينا" .. وقد توثقت أواصر الحب بين "ماترينا" و"ناتاشا" . فلما رأى الجنرال ارتياح طفلته إلى صحبة "ماترينا" قرر الاقتران بهذه الأخيرة .. فخطبها إلى أبيها .. ووافق "بتروف" الشيخ بلا تردد .

ولكن حدث قبل الزواج حادث محزن .. إذ خسر "بتروف" كل ثروته في المضاربات .. فقصدت "ماترينا" إلى بيت الجنرال ذات مساء .. وأنبأته بهذه النكبة وطلبت إليه فسخ الخطبة لأن مركز أسرتها الحالي لم يعد يتناسب مع مركزه وهو حاكم المقاطعة ومن أغنى أغنياء روسيا.

وكان جواب الجنرال أنه حمل ابنته "ناتاشا" ووضعها بين ساعدي "ماترينا" وقال للطفلة "قبلي أمك الجديدة" ثم قال لـ "ماترينا" "إنني أعتبرك زوجتي يا "ماترينا بتروفنا" . فافهمي أباك ذلك . وقولي له إن كل ثروتي تحت تصرفه ورهن إشارته"

وكان الجنرال يملك ثروة عظيمة ، ومزارع هائلة في "ينجني" ورثها عن أبيه غير أن "بتروف" العجوز وافق على الزواج ورفض رفضا باتا أن يستعين بأموال الجنرال . كذلك رفضت "ماترينا" أن تقبل من الجنرال أية بائنة (دوطة) وقالت له :

«هذه أموال "ناتاشا" .. وقد قبلت أن أكون أما لها ولكني لا أقبل فلسا واحدا من ثروتها »

وختم "بوريس" حديثه بقوله :

- وهكذا .. إذا توفي الجنرال غدا .. فإن "ماترينا" تصبح صفر اليدين .

- ومعنى هذا أن الجنرال هو كل ثروة "ماترينا" .

فقال "ميشيل" وهو يشعل لفافة تبغ :

- وهذا هو السبب في حرصها على حياته .. انظر إليها .. إنها تسهر عليه .. كما لو كان كنزا ..

فقال "بوريس" بصوت أجش :

- ماذا تعني يا "ميشيل" ؟ هل تريد أن تقول إن "ماترينا" لاتخلص لزوجها إلا بدافع الأنانية ! أنت إذن لاتفهمها .. ولاتعرفها ..

- أنا لم أقل ذلك يا "بوريس" .. إنك تنسب إلى معنى لم أقصده.. وفي ذلك مافيه من التنكر لأبسط تقاليد اللياقة .

- حسنا .. سوف نتحدث في ذلك فيما بعد .

- على رسلك ..

وقد تبادل الضابطان هذه العبارات وهما يدخنان في هدوء .. وكان "بوريل" يسير بينهما فلم ينظر إليهما ولم يلق بالا إلى هذا الخلاف الذي شجر بينهما .. بل كان كل اهتمامه منصرفا إلى "ناتاشا" التي تختلف عن أبيها .. وحيت الضابطين بإحناء رأسها، وهمت بالعودة إلى المنزل .

سألها "بوريس" :

- إلى أين أنت ذاهبة ؟

فأجابت :

- سألحق بكم بعد لحظة ، لقد نسيت مظلتي .

فقال "ميشيل" : -

- دعيني أذهب لإحضارها ..

فأجابت .

- لا .. لا .. يجب أن أذهب بنفسي لأغراض أخرى . وابتعدت..

وهنا تبادلت "ماترينا" و "بوريل" نظرة ذات معنى .. ولاحظ "بوريل" أن وجهها قد امتقع فجأة .. واستأنف الموكب سيره فقال "بوريل" محدثا "بوريس" :

- هل كانت زوجة الجنرال الأولى .. أعني والدة "ناتاشا" .. على شيء من الغنى ؟

فاجاب "بوريس" :

- لا . ولكنها كانت على جانب عظيم من الجمال .. وقد اقترن بها الجنرال لجمالها . بيد أنها كانت تنتمي إلى أسرةمن أعرق الأسر في القوقاز .. وقد عرفها الجنرال وهو لايزال ضابطا صغيرا في (تفليس).

فقال "بوريل" في لهجة المفكر :

- صفوة القول .. إنه متى توفي الجنرال .. فإن زوجته التي تملك الآن كل شيء .. تصبح بلا شيء .. وابنته التي لاتملك الآن شيئا .. تصبح صاحبة كل شيء ؟

فاجاب "ميشيل" :

- نعم .

وقال "بوريس":

- ولكن هذا لايمنع "ماترينا بتروفنا"و"ناتاشا" من أن تحب كل منهما الأخرى حبا عظيما ..

وواصل الموكب سيره . والجنرال والمستشار يتبادلان النكات ويسرد كل منهما على الآخر بعض ذكرياته الطريفة المضحكة .

وفجاة سمع "بوريل" وراءه وقع اقدام تقترب بسرعة فنظر خلفه . فرأى "كوبريان" يسرع الخطى وهو يلهث .

كان "كوبريان" رجلا طويل القامة مفتول الساعدين ، ينم مظهره عن القوة ، وقد كان محبوبا في العاصمة لمظهره النبيل وشجاعته .. ولأن أسلوبه في العمل كان يختلف عن أساليب "جونسوفسكي" رئيس البوليس السري الذي اشتهر بمكائده ومؤامراته .. وشاع عنه أنه الذي دبر حادث مصرع رئيس الوزراء السابق في محطة (بيتر هوف) .

كانت تبدو على "كوبريان" في ذلك اليوم علامات الضجر والانفعال فشد على يد الجنرال "تريباسو ف" .. وشجعه على جراته .. ثم قصد توا إلى "بوريل" .. وانتحى به ناحية وقال له :

- إنك طردت رجالي من منزل الجنرال "تريباسوف" رغم علمك بانني لم اسمح قط بذلك .. ورجالي في أشد حالات الغضب لأن عملك قد أثار الريبة حول امانتهم ويقظتهم .

يجب ان تعلم ان رجالي من طراز آخر غير طراز رجال (جونسوفسكي) وان في معاملتهم على هذا النحو تخديشا لشعورهم .

ولكن لنترك مسالة الشعور جانبا ولنتحدث في عملك ذاته .. فانت قد برهنت على طيش غير محمود العاقبة واسات استعمال التصريح الذي أعطيتك إياه بامر القيصر وقد تحدثت إلى جلالة القيصر في هذا فابدى دهشته . وأمرني بان اذهب بنفسي إلى منزل الجنرال ، وبان أعيد الحراس إليه .. ولشد ما كانت دهشتي حين وجدت باب المنزل مفتوحا كانه طاحونة خربة يستطيع كل إنسان أن يدخلها . ثم كانت دهشتي لا حد لها حين انبانى "اورميلوف" بانك خرجت مع الجنرال للنزهة .

إنك تعرض الجنرال للخطر ، وتضع حياته تحت رحمة كل عابر سبيل . فاصغ إلي يا مسيو "بوريل" . إنني غير راض عن عملك ، والقيصر غير راض ، وبعد ساعة على الأكثر سارسل رجالي إلى منزل الجنرال لحراسته .

اصغى "بوريل" إلى حديث "كوبريان" حتى النهاية .. لم يكن قد تعود سماع هذه اللهجة ، ولكنه كظم غيظه وقال في هدوء :

- حسنا .. وأنا سارحل بقطار المساء .

- ترحل ؟ !

- نعم .. وعليك أن تحرس الجنرال بنفسك .. إنك غير راض والقيصر غير راض .. وذلك مما يدعو إلى الأسف .. بيد أنني أيضا غير راض ، ولم يبق لي إلا ان اقرئك السلام وارحل ، فقط ارجوك الاتنسى بعد ثلاثة ايام أو اربعة على الأكثر أن تبعث إلي برسالة تحدثني فيها عن صحة الجنرال لكي أصلي من أجله ، وأطلب إلى الله ان يلهم ذويه الصبر والسلوان .

وصمت .. إذ التقت عيناه في تلك اللحظة بعيني "ماترينا بتروفنا"
ورأى في نظرتها من دلائل الحزن واليأس ما أشعره بالشفقة عليها .
لم تعد "ناتاشا" .. فترى ماذا كانت الفتاة تعمل في تلك اللحظة؟
وتكلم "كوبريان" .. ولكن "بوريل" كان في شغل عن الإصغاء إليه
بالتفكير في موقف "ماترينا بتروفنا" .
كانت تلك المرأة الباسلة ترتاب في "ناتاشا" وتحبها في الوقت ذاته..
ولا شك أنها كانت تعاني بهذا الحب المقترن بالريبة ألما نفسيا عنيفا .
هتف "كوبريان" محدثا "بوريل" :
- ألا تسمعني ؟ ألا تصغي إلي ؟ إنني أعتذر لك عن اللهجة التي
تحدثت بها إليك وأسألك الصفح .. وأرجوك أن توضح لي سر تصرفك.
إني واثق بأن لديك من الأسباب ما يبرر هذه التصرفات.. فما هي هذه
الأسباب ؟ يجب أن أعرفها لأذكرها للقيصر ..
أجبني .. ماذا يجب أن أقول للقيصر ؟
فأجاب "بوريل":
- لا تقل له شيئا .. ليس عندي ما أقوله لك أو للقيصر أو لأي
إنسان .
اذهب إلى القيصر ، وأبلغه تحيتي واحترامي . وأشر على جواز
سفري لكي أرحل الليلة .
ثم تنهد واستطرد .
- ذلك مما يؤسف له حقا .. فقد دخلت القضية في ألذ وأمتع
أطوارها ..
فنظر إليه "كوبريان" .. ورآه لا يحول بصره عن "ماترينا بتروفنا" ..
فنظر بدوره إلى هذه الأخيرة وهاله امتقاع وجهها استطرد "بوريل" :
- يوجد شخص واحد سوف يأسف على رحيلي .. وهو هذه السيدة
الباسلة التي وضعت في ثقتها .. اطلب إليها أن تختار بيني وبين
جميع رجالك . ولكن دعنا من هذا الآن ، كل ما أرجوه هو ألا تنسى أن

تقدم إلى هذه السيدة في الوقت المناسب عزائي الخالص .
وهنا ظهرت على وجه "كوبريان" علامات الانزعاج .. فسعل وقال:
- هل تظن إذن أن هناك خطرا عاجلا يتهدد حياة الجنرال ؟
فأجاب "بوريل" :
- إنني لا أظن .. ولكني واثق . إن مصرعه قريب ولم يبق له في الحياة إلا ساعات معدودات ، ولكني سوف لا أنسى قبل رحيلي أن أهيئه لانتظار الموت ، وأن أطلب إليه أن يستغفر الله عما أتى من ضروب البطش والقسوة .
- يا مسيو "بوريل" .. هل أفهم من كلامك أنك اكتشفت شيئا ؟
- نعم يا ميسيو "كوبريان" .. إنني اكتشفت شيئا .. بل أشياء .. وإلا هل تعتقد أنني اجتزت أوروبا كلها من فرنسا إلى روسيا لكي أضيع وقتي سدى ؟
- هل اكتشفت شيئا لا يعلم به أحد ؟
- نعم يا مسيو "كوبريان" .. إنني اكتشفت شيئا لم أذكره لأحد.. ولم أسجله في دفتر مذكراتي . لأن الدفتر قد يفقد أو يسرق كما تعلم .. أليس كذلك ؟ إنني أقول لك هذا حتى لايضيع رجالك وقتهم عبثا بتفتيشي عند رحيلي .
- من تظنني يا مسيو "بوريل" ؟
- ذلك هو شأن رجال البوليس في كل زمان ومكان . فإنهم متى وجدوا إنسانا يعلم عن إحدى القضايا المهمة أكثر مما يعلمون لايترددون في اعتقاله ، وإرهاقه بشتى الأساليب والوسائل للوقوف على معلوماته . بيد أن هذه الأساليب لاتجدي معي فتيلا .. فإنني لن أتمكن ولن أبوح بشيء حتى ولو الهبتموني بالسياط .
فقطب "كوبريان" حاجبيه وقال :
- إنك تتحدث إلى رجل شريف يا مسيو "بوريل" .
- حسنا .. ولذلك سأقف منك موقف الرجل الشريف وسأسرد عليك معلوماتي .
نعم .. لن تمنعني الأنانية أو الصلف عن أن أكشف لك ما قد يؤدي إلى إنقاذ حياة الجنرال .

- تكلم إذن .. إنني مصغ إليك .

- ولكني أشترط متى أفضيت إليك بما أعلم أن ترد لي جواز سفري وتسمح لي بالرحيل .

فسأل "كوبريان" بعد تردد وجيز :

- ألا تستطيع أن تفضي إلي بمعلوماتك وتبقى ؟

- لا ياسيدي .. إنني أفضل الرحيل حالا على أن أجد نفسي مضطرا إلى إيضاح كل عمل من أعمالي ، وتقديم حساب عن حركاتي وسكناتي.

كان القلق قد اشتد بـ "ماترينا بتروفنا" عندما طال الحديث بين "بوريل" و "كوبريان" .

فراحت تنقل البصر بينهما .. ولاحظ "كوبريان" من نظراتها إلى "بوريل" أنها تضع في هذا الفرنسي كل أملها وثقتها ، ثم كأنه أشفق أن تبهظه المسؤولية التي يريد "بوريل" أن يلقيها على عاتقه، فشد على يد هذا الأخير وقال له كلمة واحدة هي : «ابق» ، ثم حيا الجنرال وزوجته وأصدقاءه ، ومضى في سبيله .

وكان الجنرال في هذه الأثناء يسرد على صديقه "إيفان بتروفتش" بعض الحوادث التي وقعت له في القوقاز .

أما "ناتاشا" فإنها لم تعد .

وكان الليل قد أرخى سدوله ، فعاد القوم أدراجهم إلى المنزل .

وكان أول مافعله الجنرال حين عاد إلى المنزل أنه سأل "أورميلوف" عن "ناتاشا" التي أدهشه تخلفها عن مرافقته في أول نزهة يخرج لها بعد حادث الاعتداء عليه . فأجاب "أورميلوف بأن الآنسة عادت إلى المنزل ومكثت به نحو ربع ساعة ثم انصرفت فسألته "ماترينا" .

- هل جاء أحد آخر ؟

- جاء مدير البوليس وانصرف على الأثر .

وقد تبودلت هذه العبارات باللغة الروسية . فنقلتها "ماترينا" إلى "بوريل" باللغة الفرنسية . ولاحظ "بوريل" أن السيدة التعسة في أشد حالات الاضطراب والانزعاج .

وتعاون "بوريس" و"ميشيل" على حمل الجنرال إلى غرفة الطعام حيث طلب هذا الأخير أن يتناول الشاي . وانتهز "بوريل" هذه الفرصة

فاقترب من "ماترينا" وقال لها بسرعة .
- عليك أن تتفقدي أرض غرفة الطعام ، تحت مقعد الجنرال .
فاجابت بصوت محزن :
- حسنا .
- تشجعي يا سيدتي ..
- لماذا لاتاتي معي :
- لأن لدي عملا آخرا ، أعطيني مفاتيح الطابق الأول .
- ولكن ..لماذا ؟
- أسرعي .. إن الوقت لايتسع للجدل .
واختطف منها حزمة المفاتيح اختطافا . وصعد السلم وثبا .. ولما وصل إلى الطابق الأول فتح غرفة"ماترينا بتروفنا" ونفذ منها إلى الرواق . وفتح غرفة الجنرال والقى عليها نظرة سريعة ، ثم اغلقها . وهبط السلم وهو يردد كلمة "حسن جدا" بالروسية ، وهي الكلمة الروسية الوحيدة التي تعلمها حتى ذلك الوقت .
وقضى "بوريل" بقية الوقت في حديقة الجنرال إلى أن لحقت به "ماترينا بتروفنا" بعد أن نقل الجنرال إلى غرفته .
قالت له وهي تلقي بيدها على كتفه :
- أيها الشيطان . لماذا لم تفحص أرض غرفة الطعام بنفسك ؟
فأجاب :
- إنني رأيت وجهك فعرفت النتيجة .
- نعم . إن اللوح الخشبي على حاله . ولم تحدث أية محاولة جديدة من جانب أولئك الذين ينبشون أرض الغرفة تحت مقعد الجنرال .. آه.. يا إلهي .. لشد ما كان انزعاجي عندما غادرتنا "ناتاشا" وعادت أدراجها إلى المنزل !! لقد شعرت وقتئذ بدوار .. وخيل إلي أنني لن أستطيع استئناف السير .

الفصل الخامس
اليد الخفية

ماكادت "ماترينا" تصعد إلى غرفة زوجها حتى خرج "بوريل" إلى حديقة المنزل واجال الطرف في انحائها باحثا عن الضابطين ولكنه لم يجد لهما اثرا .

بيد انه تبين في ارض الحديقة آثار اقدامهما فاخذ يتعقب هذه الآثار حتى خرج من المنزل . وعرج شطر الغابة المترامية الواقعة على بعد مائتي متر من بيت الجنرال .

وادهشه ان يرى آثار الأقدام متجهة نحو الغابة بدلا عن ان تتجه نحو المدينة وكان الليل قد أرخى سدوله فاسرع "بوريل" الخطى حتى وجد نفسه بين الأشجار المتعانقة والأغصان المتشابكة .

اصاخ السمع جيدا .. ولم يسمع في أول الامر شيئا ، ولكنه لم يكد يتقدم بضع خطوات اخرى حتى طرق أذنيه صوت همس .

رفع راسه ، وراى شبحين ، استطاع بفضل قوة إبصاره أن يعرفهما .

عرف فيهما "ناتاشا" والضابط "بوريس" .

اقترب خطوة وتوارى خلف إحدى الأشجار ، وارهف اذنيه .

سمع جدلا عنيفا بين الضابط والفتاة ، ولكنه لم يتبين كلمة واحدة ولم يفهم شيئا لأنهما كانا يتحدثان باللغة الروسية ، كان صوت الضابط ووقفته يدلان على الكبرياء والترفع ، كان منتصب القامة ، ويداه معقودتان فوق صدره كمن يتحدى محدثه ، ولا يريد النزول إلى مستواه .

تكلمت "ناتاشا" ، وتكلمت بصوت حاد أخذ يخفت بالتدريج حتى تبين فيه "بوريل" لهجة الاستعطاف ، وأخيرا نطقت الفتاة ببضع عبارات باللغة الفرنسية ، كانها خشيت فجاة ان يسمع حديثها أحد .

وصمت "بوريس" طويلا كانه يفكر ، ثم أجاب بصوت واضح

النبرات.

- إنك تطلبين إلي امرا مخيفا .

فقالت الفتاة بلهجة حازمة :

- ويجب أن تنزل على إرادتي . هل سمعت يا "بوريس" يجب ..

وحولت رأسها ذات اليمين وذات اليسار . ثم القت بيدها على كتف الشاب وقالت بصوت رقيق .

- هل سمعت يا عزيزي "بوريس" ؟

والظاهر أن الفتى لم يستطع المقاومة اكثر من ذلك فاطرق برأسه في خضوع .

وتناول اليد التي وضعت على كتفه وقبلها باحترام .

قالت "ناتاشا" بذلك الصوت العذب الساحر :

- إذن إلى اللقاء هذا المساء .. نعم .. هذا المساء .

واجتذبت يدها من بين يديه .. وأشارت إليه أن يذهب في سبيله.

وهنا أدرك "بوريل" أن المقابلة قد انتهت ، فتسلل من الغابة وعاد ادراجه إلى المنزل مسرعا حتى لاتراه "ناتاشا" أو صاحبها ولم يكد يدخل حتى وجد "ماترينا" تترقب عودته بعد أن أغلقت باب غرفة زوجها .

سألها :

- الا يوجد بالمنزل أحد ؟

- لا .. و"ناتاشا" لم تعد .

- إنها ستعود في التو واللحظة فعليك أن تسأليها أين كانت وهل قابلت الضابطين ، فإذا قالت إنها قابلتهما فسليها هل يعودان إلى المنزل الليلة .

فهتفت ماترينا كأنها تذكرت أمرا .

- الواقع أن الضابطين اختفيا .. ولا أعلم كيف ..

- وبهذه المناسبة اريد أن أرى جميع الدبابيس التي تستعملها الآنسة "ناتاشا" لتثبيت قبعتها على رأسها .

فظهرت علامات الدهشة على وجه "ماترينا" ولكن "بوريل" صاح بها :

- اسرعي قبل أن تعود "ناتاشا" .

فغابت "ماترينا" لحظة . ثم عادت وبين يديها ثلاثة .

- أهذه كل ما هنالك ؟

- هذه كل ماوجدت .. ولكني أعلم أن "ناتاشا" تملك دبوسين آخرين . ربما كانا في القبعة التي ترتديها الآن .

- حسنا .. أعيدي هذه الدبابيس إلى موضعها .

فاطاعت دون أن تفهم غرضه . ولما عادت سألها :

- وأين دبابيسك ؟

- إنني لاأملك غير هذين الدبوسين .

ومدت يدها إلى مقعد كانت قد ألقت عليه قبعتها عقب عودتها من النزهة . واجتذبت من القبعة دبوسين قدمتهما إلى "بوريل" . ففحصهما ثم ردهما إليها بسرعة .

وقال :

هذا حسن ، هاهي الآنسة "ناتاشا" .

ودخلت "ناتاشا" وهي باسمة الثغر لامعة العينين وهتفت وهي تخلع قبعتها :

- بالله .. لقد بحثت عنكم كثيراً فلم أجدكم .. ولعل السبب انني أردت أن أصل إليكم من أقرب طريق فضللت السبيل .. هل استراح أبي إلى هذه النزهة ؟

فأجابت "ماترينا" :

- نعم ، وهو الآن في فراشه . هل قابلت "بوريس" و"ميشيل" ؟

فترددت "ناتاشا" لحظة ، لحظة قصيرة جدا .. وأجابت على الأثر .

نعم ، قابلتهما منذ برهة .

- هل قالا لك أن في نيتهما العودة هذا المساء ؟

- لا ، ولكن لماذا هذه الأسئلة ؟

واحمر وجهها قليلا ..

فأجابت "ماترينا" :

- ذلك لأنهما رحلا دون أن ينبانا .. بل دون أن يقولا كلمة واحدة .

- هذا غريب حقا .

وقد لزم "بوريل" الصمت أثناء هذا الحديث ، ولكنه لم يحول عينيه

طوال الوقت عن قبعة "ناتاشا" .

انصرفت "ناتاشا" إلى غرفتها . وقصد "بوريل" إلى الغرفة التي أعدتها له "ماترينا بتروفنا" بالقرب من الجناح الخاص بزوجها .

وبعد أن القت "ماترينا" نظرة على غرفة زوجها تفقدت النوافذ والابواب واحكمت إغلاقها ، وعندما همت بدخول غرفتها رات باب "بوريل" يفتح ، وابصرت راسه مطلا منها . قال لها بصوت خافت:

- لقد لاحظت انك اغلقت باب الردهة ، فارجو أن تتركيه مفتوحا .

فاطاعته .. وعادت إليه لتساله السبب .

قدم إليها مقعدا أمام فراشه ، وقال لها دون أن ينظر إلى وجهها .

- الاتعلمين أن حادث قنبلة آنية الأزهار قد يتكرر الليلة ؟ فوثبت "ماترينا" عن مقعدها كما لوكانت قد احست بالقنبلة تحتها . غير أن "بوريل" سدد إليها نظرة صارمة ، فجلست في الحال وغمغمت بصوت خافت :

- حادث القنبلة قد يتكرر الليلة ؟ ولكني رفعت أواني الأزهار جميعا من غرفة الجنرال .

- يجب أن تخلدي إلى الهدوء والسكينة يا سيدتي .. هل فهمت؟

والآن أجيبي عن اسئلتي في همس .. ودون أن تنظري خلفك .. قلت لي إنك سمعت دقات جهاز القنبلة وانت في غرفتك ..

- نعم .. وكانت الأبواب مفتوحة ..

- وقلت كذلك إن بعض الأصدقاء زاروا زوجك في تلك الليلة ، فهل سمعت صوت الدقات قبل رحيل أولئك الاصدقاء .

- لا .. لا ..

- هل تعتقدين أنه كان في استطاعتك أن تميزي هذا الصوت اثناء الأحاديث التي دارت بين زوجك واصدقائه ؟

- بالتاكيد .. بالتاكيد ..

- وهل رافقت أولئك الأصدقاء عند انصرافهم ؟

ولم تسمعي دقات جهاز القنبلة اثناء ذلك ؟

- لا .. بل بقيت مع زوجي حتى غلبه النوم .

- وهل اغلقت جميع أبواب هذا الطابق عقب انصراف أولئك

الأصدقاء ؟

- نعم .. اغلقت باب الطابق ، وأبواب الغرف جميعا أما الباب الموصل إلى سلم الخدم فكان مغلقا من قبل ، ومفتاحه معي ، وهكذا كان من المستحيل على كائن من كان أن يصل إلى غرفة الجنرال دون أن يمر بغرفتي .

- ومعنى ذلك ان احدا سوا كما - أنت والجنرال لم يكن في استطاعته ان يضع القنبلة في آنية الأزهار .

فذعرت "ماترينا" وهتفت ؟

- ماذا تعني ؟

- أريد أن ابرهن لك ياسيدي على أنه من الخطا أن ياخذ الإنسان بالظواهر ، لأن الظواهر كثيرا ما تتعارض مع المنطق .

فمن البديهي أن زوجك لم يقصد الانتحار بوضع قنبلة في غرفته ، ومن الظاهر الجلي أنك تحبين زوجك وتفتدينه بحياتك .

فهتفت "ماترينا" بانفعال شديد .

- هذا صحيح ، هذا صحيح . إنني على استعداد لأن افتديه بحياتي.. ولكن لماذا تتحدث هكذا دون أن تنظر إلي ، لماذا ؟

- لا تنظري خلفك ، هل سمعت ؟ لاتاتي باية حركة ، وتكلمي بصوت خافت ، ولاتبكي ، اتوسل إليك .

- إنك قلت منذ لحظة .. أن .. أن حادث القنبلة قد يتكرر الليلة ، فهلم بنا إلى غرفة الجنرال .

فقال "بوريل" وعيناه تنظران إلى شيء وراءها :

- لا .. لا .. لاتتحركي من موضعك ، واصغي إلي ، ولاتقاطعيني ، لقد قلت لنفسي : مادام الجنرال لايفكر في الانتحار ، ومادمت تحبين زوجك ، فلابد ان يكون هناك شخص ثالث قد وضع القنبلة في آنية الأزهار ، وأن يكون هذا الشخص قد تمكن من دخول غرفة الجنرال رغم ان جميع الأبواب كانت مغلقة .

- لا . لا . من المستحيل أن يتمكن إنسان من دخول غرفته دون أن يمر بغرفتي ، اقسم لك أن ..

ورفعت ساعدها لتقسم . فجذب "بوريل" ساعدها بعنف وهمس:

- قلت لك يجب الا تقاطعيني .
- ولكن . انبئني أولا . لماذا تنظر هكذا ؟
- إنني انظر إلى المكان الذي يستطيع الإنسان أن ينفذ منه إلى غرفة الجنرال مع وجود الأبواب جميعا مغلقة لاتنظري خلفك.
فسألت وأسنانها تصطك :
- ولكن أين هذا المكان ؟
- إنه الباب .
- أي باب ؟
- الباب الموصل إلى سلم الخدم .
- ولكنه مغلق . ومفتاحه عندي :
- لقد صنعوا له مفتاحا .
- وكيف نفذوا إلى غرفة الجنرال ؟ .
- إن بغرفة الجنرال بابين ، أحدهما يفصل بينها وبين غرفتك ، والثاني في مواجهة باب سلم الخدم .
- ولكن كيف استطاعوا الدخول من الباب الثاني ؟ ؟ إنه مغلق بالمفتاح والمفتاح بداخل الغرفة .
- إن النصف الأعلى من الباب هو عبارة عن لوح من الزجاج .
- ولكن هذا الباب مغلق من الداخل بالمزلاج .
- إن في الإمكان فتحه .
- هذا مستحيل .
- إن الفوضويين لم يخترعوا حيلة جديدة يا سيدتي ، فطريقة فتح الألواح الزجاجية هي طريقة رابحة في فرنسا ، ويعرفها كل مشتغل بسرقة الفنادق . وهي لاتتطلب أكثر من ثقب كثقب الدبوس في مكان بالألواح الخشبية قريب من المزلاج الذي يعلق به اللوح الزجاجي .
- يا إلهي . إنني لا أستطيع أن أفهمك . لاأستطيع أن أفهم كيف يمكن فتح الباب من خلال ثقب كثقب الدبوس فقال "بوريل" دون أن ينظر إليها :
- أصغي إلي يا سيدتي ، إن في إمكان الشخص الذي يريد دخول الغرفة أن يزج في ثقب الدبوس بقطعه ملتوية من السلك .. يجذب

بواسطتها مزلاج اللوح الزجاجي . فيفتح اللوح إلى الداخل، ويمد الشخص يده ويدير المفتاح . فيفتح الباب في الحال .

ففر لون "ماترينا" وهتفت .

- يا إلهي . ولكن ثقب الدبوس ؟

- إنه موجود .

- هل اكتشفته ؟

- نعم منذ اللحظة الأولى .

- أيها الشيطان كيف وفقت إلى اكتشافه في حين انك لم تدخل غرفة الجنرال غير مرة واحدة . وكان ذلك ليلا ؟

- إنني صعدت سلم الخدم مرارا قبل ذلك . وسأذكر لك السبب. عندما دخلت هذا المنزل لأول مرة .. كان أول همي أن أملأ بطني.. بيد أنني لم أضيع وقتي أثناء الطعام عبثا .. فقد لاحظت على أرض غرفة الطعام أثر حذاء صغير أنيق .

كان قدح من الشراب قد انسكب فوق مائدة الطعام فسال الشراب على السجادة .. فتلوث نعل الحذاء الصغير الأنيق بالشراب . ورأيت آثار هذا النعل متجهة شطر الباب المؤدي إلى سلم الخدم .

وكان "كوبريان" قد وصف لي هذا المنزل ، وحدثني عما وقع به، وذكر لي ضمنا أن الخدم لا يصعدون ابداً إلى الطابق الأول لأن الباب الذي في أعلى سلم الخدم مغلق دائما ولذلك رابني أن أرى اتجاه تلك الأقدام الصغيرة شطر سلم الخدم .

وعندما هممت بتتبع آثار الأقدام .. فتح باب الغرفة .. ورأيتك أمامي.

- ولكنك لم تصارحني وقتذاك بشيء من هذا ؟

- كان عندي من الأسباب ما يمنعني من مصارحتك .

- إذن هلم بنا الآن إلى غرفة الجنرال .. يجب أن نوقظه من نومه .

- ابقي هنا ابقي هنا .. إنني لم أحدثك بشيء بعد .

- نعم . لم تحدثني عن ثقب الدبوس ، وعن حادث القنبلة الذي سيتكرر الليلة .

- سأحدثك بكل شيء .. عندما ذهبت بي إلى غرفة زوجك امس كان

كل همي أن افحص وضع اللوح الزجاجي في الباب المواجه لباب سلم الخدم . وقد استوثقت في الحال بان القنبلة ادخلت من ذلك الباب . ومن ذلك الباب ستكرر المحاولة الليلة .

- ولكن كيف ؟ إن ثقب الدبوس الذي تزعم أنك رأيته في الباب قد دلك على الطريقة التي ادخلت بها القنبلة إلى غرفة الجنرال . ولكن ما الذي يدلك على أن هذه المحاولة ستتكرر ؟ أنت تعلم أن الشقي أو الأشقياء يقومون الآن بمحاولة أخرى بعد أن فشلوا في المحاولة الأولى فهم يسعون إلى وضع قنبلة تحت مقعد الجنرال في غرفة الطعام .

- من المؤكد ياسيدتي انهم عدلوا عن القيام بالمحاولة الثانية في غرفة الطعام بدليل انهم شرعوا يستعدون لدخول مخدع زوجك مرة أخرى .

وهذا هو السر في أنني أمرت رجال البوليس بالجلاء عن المنزل .. نعم .. إنني اصدرت إليهم هذا الأمر وأنا مطمئن إلى سهولة مهمتي .. فقد كانت هذه المهمة مقصورة على مراقبة شيء واحد ، هو ثقب الدبوس وليس من المتعذر على الإنسان ياسيدتي أن يرقب ثقب دبوس.

فنظرت إليه المرأة بإعجاب وهتفت :

- ولكن حدثني أيها الملاك الحارس .. كيف استطعت أن تفهم من ثقب الدبوس أن هناك محاولة ثانية لدخول مخدع زوجي من خلال ذلك الباب؟

- لايوجد ثقب واحد ياسيدتي ، بل يوجد ثقبان .

- ثقبان !

- نعم ! أحدهما قديم . والآخر جديد .

ولكن لماذا أحدث الثقب الجديد ؟

- لأنه رأى إن الثقب القديم ضيق ، فأراد بعضهم توسيعه بدبوس كبير من دبابيس القبعات ، ولكن طرف الدبوس كسر داخل الثقب .

- آه .. فهمت الآن سبب اهتمامك بفحص دبابيس القبعات .. يا إلهي .. لم أكن أتصور أن في الإمكان دخول الباب من ثقب الدبوس .

فاستطرد "بوريل" :

- وعندما كسر الدبوس سد الثقب الأول .. ولهذا كان من الضروري

إحداث ثقب جديد .. وقد أحدث هذا الثقب الجديد أولا بمطواة . ثم بدبوس قبعة .

- يا إلهي .. إذن فسوف يعيدون الكرة .

- أظن ذلك .

- ولكن هل دلك فحص الدبابيس على شيء ؟

- إنني وجدت طرف الدبوس السادس مكسورا .

- الدبوس السادس !!

- نعم .. دبوس قبعة الآنسة "ناتاشا" .

فجمدت "ماترينا" في مكانها وهتفت :

- يا إلهي !!

- ماذا دهاك ؟ ! إنني فحصت دبابيسك ، كما فحصت دبابيسها ، فهل تعتقدين انني كنت أرتاب فيك لو أنني وجدت أحد دبابيسك مكسورا ! لا .. كان ذهني ينصرف في الحال إلى أن بعضهم قد استخدم دبوسك في أغراضه المنكرة .

- هذا صحيح . هذا صحيح . أرجو المعذرة . إنك حيرت عقلي، إنك تجعلني اعتقد في شيء . ثم تعود فتزعزع اعتقادي .. إنك شيطان رجيم .

وتناولت رأسه بين يديها .وقبلت جبهته . ولكن "بوريل" رفع يديها بعنف وخشونة . وغمغم :

- إنك تمنعينني من أن أرى ..

فلم تزعجها خشونته ، لأنها ادركت سببها وفهمت لماذا كان يتحدث طول الوقت دون أن ينظر إليها .

كان ينظر إلى ماوراءها . إلى باب غرفة الجنرال .

نهض "بوريل" واقفا . وسار على أطراف أصابعه حتى دخل غرفة الجنرال .

كان الرجل نائما نوما هادئا ، لايعتريه شيء من الأحلام المضطربة التي أزعجته في الليلة السابقة . ولعل "ماترينا" كانت على حق حين أسندت هذه الأحلام المزعجة إلى العقاقير المخدرة التي اعتاد الجنرال أن يصارع بها الأرق والسهاد . ذلك لأنه لم يتناول شيئا من هذه

العقاقير في تلك الليلة . بل كان القدح على مقربة منه . وهو مليء بالسائل المخدر حتى الحافة .

القى "بوريل" نظرة سريعة على الباب الجانبي المقابل لباب سلم الخدم ، ثم عاد إلى غرفته .. وتمدد في فراشه . سألته "ماترينا" :

- هل تنام ؟

- لا .. ولكني سأطفىء المصباح ..

- إذن دعنا نتناوب الحراسة .

بيد أن أحدا منهما لم يغمض له جفن .. ظلت عيونهما تنظر من خلال الأبواب إلى فراش الجنرال ومرت الساعات ببطء وتثاقل ، وخيل لـ "ماترينا" أن المحاولة التي تكلم عنها "بوريل" لن تحدث في تلك الليلة.

أما "بوريل" .. فكان يعتقد أن المحاولة لن تقع قبل بزوغ الفجر، حين تكون للنوم الغلبة على اليقظة . ولكنه مع ذلك لم يحرك ساكنا .

ظل جامدا في مكانه كالصنم .

وانقضت ساعات وساعات .

وفجاة ، أحس بيد "ماترينا" توضع على يده فحبس أصابعها بين يديه بقوة . وفهمت أنه يريدها على أن تلزم الصمت والسكون.

أرهف كلاهما السمع ، وانصتا . واشرأب عنقاهما نعم ، نعم ، كانت هناك حركة غير عادية .

سمعا صوت مفتاح يتحرك في القفل بهدوء .. وساد السكون .. واستمر هذا السكون دقيقة كانت أطول من قرن .. ثم شاهدا الباب الجانبي في غرفة الجنرال يفتح ببطء شديد ..

وبرز منه ذراع يمتد ، ويمتد .

كان في قبضة اليد التي امتدت شيء لامع وشعر "بوريل" بأن "ماترينا" تتأهب للوثوب .. فأحاطها بساعديه .. ومنعها من الحركة .. تملكه خوف شديد من أن يسمعها تصرخ مذعورة مستغيثة بينما تلك اليد تمتد نحو فراش الجنرال ..

الفصل السادس
القنينة

كانت اليد الخفية ممسكة بقنينة ، وتالقت القنينة في ضوء المصباح الكهربائي .

امتدت اليد حتى وصلت إلى الطاولة الموضوعة بالقرب من الفراش ، ارتفعت فوق القدح المليء بالعقاقير المخدرة ، وسكبت فيه محتويات القنينة .

وانسحبت اليد في خفة ولباقة كما امتدت ، وسمع "بوريل" و"ماترينا" حركة المفتاح في قفل الباب ، ثم ساد السكون وعندئذ وثب "بوريل" من فراشه بعد أن أمر "ماترينا" بأن تلزم الصمت ، ثم مرق كالسهم ، ووصل إلى باب سلم الخدم بأسرع من لمح البصر ، ولكنه وجد ذلك الباب مغلقا .

عاد إلى "ماترينا" وهو يلعن ويصخب ، واختطف منها حزمة المفاتيح . وفتح الباب ، وهبط سلم الخدم مسرعا ، ولكنه لم ير أحدا .. صعد السلم الكبير على عجل ، وماكاد يصل إلى الطابق الأول حتى سمع حركة باب يغلق .

كان الباب الوحيد المغلق في تلك اللحظة هو باب غرفة "ناتاشا" ووقف بذلك الباب وقلبه يركض بشدة ، وأصاخ السمع ولكنه لم يسمع شيئا .

انتظر .. وانتظر .. واصغى ، ولكن الهدوء التام كان يسود الغرفة التي كانت ترقد فيها الفتاة .

هبط إلى الطابق الأول . وغاب هناك بضع دقائق .. ثم صعد السلم الكبير مرة أخرى . ولما وصل إلى قمته رأى "ماترينا بتروفنا" في انتظاره ، وهي شاحبة كالأموات .

سألته :

- أين اختفى : أين ؟

فأجاب بصوت خافت .. اضطرت معه "ماترينا بتروفنا" ان تقترب

خطوة اخرى لكي تسمعه :

- إنني بحثت في كل مكان ، ولكني لم أجد أحداً .. فحملقت إلى عينيه كانها تريد أن تتغلغل إلى اعماق نفسه ، وتقرأ افكاره . ثم اشارت باصبع نحو غرفة "ناتاشا" وقالت :

- هل دخلت هذه الغرفة ؟

- هذه الغرفة يجب عدم دخولها .

فقالت وهي تصر باسنانها :

- سادخلها .

ولكنه وقف في طريقها . وبسط ساعديه ليمنعها من المرور ، وهتف:

- لاتتقدمي خطوة اخرى إذا شئت الا تقع هنا فاجعة .

- ولكن ذلك الشخص موجود الآن في هذه الغرفة .. إنه هنا .

فهز رأسه وقال :

- يحتمل الا يكون هنا .

- إنه هنا ، مادمت لم تقع على اثره في أي مكان آخر .

- لا .. لا .. يحتمل أن يكون قد خرج .

- ايحتمل ان يكون قد خرج ، وجميع النوافذ والأبواب مغلقة ؟

- لقد رايت بعيني راسك ان ثقب الدبوس يكفي لمرور الإنسان .

فعضت على شفتها وأطرقت براسها .

كانت تريد دخول غرفة "ناتاشا" مهما كلفها ذلك .

قال لها :

- إذا دخلت هذه الغرفة ، ولم تجدي بها من تبحثين عنه ، ضاع كل أمل في كشف الحقيقة ، ويتعين علي أن انفض يدي من هذه القضية ، هل فهمت ؟

فتهالكت المرأة التعسة في أحد المقاعد ودفنت رأسها بين كفيها .

قال بصوت خافت :

- لا معنى لليأس والحزن ، إننا لا نستطيع حتى الآن أن نقطع الشك باليقين في أمر "ناتاشا" .

فهزت راسها وقالت :

- نحن نعلم انه لايوجد هنا سواها . لأن أحدا لم يدخل المنزل أو

يخرج منه .
- أكرر لك القول إننا لانستطيع أن نجزم بأن الشخص الذي رأينا يده لم يخرج من المنزل .
- هذا هو الجنون عينه كيف يستطيع الخروج ؟
- لنبحث في الخارج .. كما بحثنا في الداخل .
قال ذلك وهبط السلم من جديد ، وفتح باب غرفة الطعام بهدوء ، ثم فتح إحدى النوافذ المطلة على الحديقة ووثب منها .
ورافقته "ماترينا" حتى النافذة ، فقال في همس :
-عليك بمراقبة "ناتاشا" .
وكان نور الصبح قد بزغ ، فاخذ "بوريل" يسير في الحديقة لصق جدار المنزل بحذر شديد ، وقضت "ماترينا" بضع دقائق أمام النافذة وراحت ترقبه ، فرأته يفحص النوافذ من الخارج وأنابيب الماء ، وأعشاب الحديقة ، ثم بصرت به وهو ينصرف من الباب الخارجي ، ويبتعد . فغادرت النافذة ، ووقفت في بهو الطابق الأول وألقت نظرة على باب "ناتاشا" فألفته لايزال مغلقا .
عادت أدراجها إلى النافذة المطلة على الحديقة .. ورأت أن "بوريل" قد وصل إلى ضفة نهر "نيفا" .. ووقف ينظر إلى الضفة الأخرى حيث يقوم المنزل الذي يقيم فيه الضابطان "بوريس" و"ميشيل" .
وقضى "بوريل" بعض الوقت وهو يتأمل ذلك المنزل على مبعدة.. ثم جلس على إحدى الصخور .. ودفن رأسه بين يديه .
وبعد لحظة .. بصرت به "ماترينا" وهو ينهض واقفا .. ويخلع ثيابه بسرعة .. ثم إنه يغوص في ماء النهر ويسبح شطر منزل الضابطين .
ولما غاب عن بصرها .. عادت أدراجها إلى حيث توجد غرفة "ناتاشا".
فجثت أمام الباب .. ثم انبطحت على الأرض وأصاخت السمع .
كان مجرد التفكير في جريمة "ناتاشا" يكاد يخرجها عن عقلها يا إلهي .. أيمكن هذا!!
كانت تريد أن تبكي .. وتبكي بصوت مرتفع .. وتدعو "ناتاشا" . وتسألها.. وتضرع إليها أن تقول الحقيقة .
ومر بها وقت طويل .. منبطحة على الأرض .. مضعضعة الحواس..

اشبه ما تكون بالحيوان الجريح .

ثم اشفقت أخيرا أن يفاجئها "بوريل" وهي في ذلك الموضع ، فنهضت واقفة ، وهبطت السلم ، وقصدت إلى غرفة الطعام .. والصقت جبهتها الملتهبة بزجاج النافذة المثلج .. وراحت ترقب عودة "بوريل" .

وفجاة .. احست بيد توضع على كتفها .. فنظرت خلفها في ذعر وجزع .. ورات "بوريل" واقفا خلفها .

قال لها بصوت خافت :

- ماذا تفعلين هنا ياسيدتي ؟ إن العمل معك يكاد يكون مستحيلا ، ولا شك أن الآنسة "ناتاشا" قد سمعت حركاتك ووقع خطواتك .. ومن حسن الحظ انها اعتادت أن تسمع الجلبة التي تحدثينها كل ليلة وانت تبحثين هنا .. وهناك .. وتفتشين كل غرفة عشرات المرات .

فاجابت المرأة بصوت حزين :

- أؤكد لك انني لم أحدث أية ضجة تزعجها .

- مهما يكن من أمر فيجب الاتعلم "ناتاشا" بشيء مما حدث الليلة .. هل فهمت ؟

ومتى وقع بصرك عليها في الصباح فقبليها كالعادة . فهتفت "ماترينا" وقد اقشعر بدنها :

- اقبلها ؟ هذا مستحيل هذا مالا أستطيعه .

- ولماذا ؟

فلم تجب .. وبكت .. فقال لها في لطف :

- اطمئني .. ولاتفقدي الأمل .. إن بعضهم قد خرج من منزل الضابطين الليلة فرفعت رأسها .. ولمعت عيناها وهتفت :

- يا إلهي .. كيف علمت ذلك ؟

- مادمنا لم نجد أثرا داخل المنزل فقد كان من البديهي أن نقع على آثار خارجه ..

- وهل وجدت شيئا ؟

- نعم ..

- بارك الله فيك أيها الملاك ..

- لقد وصلت إلى حديقة المنزل الذي يقيم فيه الضابطان .. ورأيت

اغصانا تحطمت حديثا .. وآثار اقدام على الثلج الذي يغطي أرض الحديقة .

- هل تعني أن أحدهما جاء الليلة إلى هذا المنزل ؟

فصمت "بوريل" ولم يجب .

- أيهما ؟ .. "بوريس" ؟

- لقد خرج إنسان من منزل الضابطين ، ودخل هذا المنزل ، ثم عاد ادراجه .. ولكنني لا أعلم من الذي فعل ذلك .. أهو "بوريس" .. أم شخص آخر .

وقد استخدم الشخص في قدومه قاربا عبر به النهر ولكنه اجتاز النهر سباحة في عودته .

فاضطربت "ماترينا" ظهرا لبطن . وسالت بحدة :

- هل انت واثق بان ذلك الشخص قد دخل هذا المنزل وخرج منه ؟

- نعم .. إنني واثق بذلك .

- وكيف دخل وخرج ؟

- من نافذة الغرفة الصغيرة المجاورة لغرفة الآنسة "ناتاشا" :

- هذا مستحيل .. فقد وجدنا هذه النافذة مغلقة !

- بل ذلك ممكن.. مادام في الاستطاعة إغلاق النافذة بعد فرار الشخص منها .

- آه ..

ثم استطردت وهي تصر باسنانها .

- لماذا منعتني من أن القي بنفسي عليه عندما مد يده وسكب السائل في القدح ؟

لو لم تمنعني .. لقبضت عليه .. وعرفنا الحقيقة .

- لا .. لقد كان .. في استطاعته بحركة بسيطة أن يغلق الباب ويفر قبل أن تصلي إليه .. ويكون قد علم أننا نترصده فتضيع جهودنا سدى .

- ولماذا لم تترصده في الحديقة .. أو أمام باب الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة "ناتاشا" ..

- لو أنني فعلت هذا لما جاء ذلك الشخص على الإطلاق إنه لم يات إلا

لأنه لم يجد من يترصده بباب الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة "ناتاشا".

- يا إلهي .. ماذا تعتقد إذن ؟ إنني لا أستطيع أن أفهم شيئا .. إن ذهني مضطرب .. فاوضح لي كل شيء ، لأنك تعلم كل شيئ .. تكلم .. اريد أن أعرف الحقيقة أريد أن اقطع الشك باليقين هل الشخص الذي جاء الليلة ينتمي كذلك إلى الجمعيات الفوضوية التي قررت إعدام زوجي ؟

فأجاب "بوريل" بهدوء :

- لو اقتصر الأمر على الجمعيات الفوضوية وحدها لكان هينا.

- يالله ! .. إنني أكاد أجن ، ماذا تعني بقولك "لو اقتصر الأمر على الفوضويين لكان هينا" ؟

فلم يجب "بوريل" عن هذا السؤال بل قال :

- ماذا فعلت بالقدح الذي يحتوي السائل المخدر .

- القدح ؟ جسم الجريمة إنني احتفظت به في غرفتي .

- حسنا ، أرجو أن تسكبي محتوياته في زجاجة خاصة وان تملئيه بسائل نقي ثم تعيديه إلى موضعه بالقرب من الفراش .

- الحق معك . إنك تفكر في كل شيء ، سارد القدح إلى موضعه حتى إذا استيقظ الجنرال أمكنه أن يتجرع السائل كالمعتاد دون أن يتطرق إليه شك .

- ولكن يجب الا يجرع محتويات القدح .

- إذن لماذا أملؤه ، واضعه بالقرب من فراشه ؟

- يجب أن يعلم الشخص الذي يهمه تسميم الجنرال أن هذا الأخير إذا لم يكن قد احتسى السائل المخدر فليس ذلك إلا لأنه لم يرغب في احتسائه وان المصادفة وحدها هي التي انقذته من الموت . هل فهمت ؟

- نعم ، نعم ولكن إذا حدث أن أستيقظ الجنرال وأراد أن يحتسي جرعة من السائل المخدر ؟

- قولي له إنني أحظر عليه ذلك .. وعليك متى استيقظ الجنرال أن تسكبي محتويات الكاس علانية بدعوى عدم صلاحية السائل حتى يعلم المجرم او المجرمون لماذا لم يمت الجنرال . ولماذا لايزال يستمتع بصحة جيدة .

- نعم . هذا راي سديد . وماذا أصنع بالسائل الذي مزج بالسم؟
- ائتيني به .
فاسرعت "ماترينا" إلى غرفتها وعادت بعد خمس دقائق تقريبا .
قالت :
- إن الجنرال نائم . وقد وضعت القدح على مقربة من فراشه !
حسنا فعلت .. والآن .. أغلقي باب هذه الغرفة . إذ يجب أن نتحدث مليا .
- ولكن إذا حدثت محاولة اخرى ونحن هنا ؟
- اطمئني ياسيدتي ، فإنهم يعتقدون الآن أن الجنرال مات مسموما. لعل هذه هي الفترة الوحيدة التي تستطيعين فيها أن تنامي مطمئنة.
- إنك تعبث بعقلي أيها الشيطان .. فتارة تجعلني أعتقد أن المجرم بين ظهرانينا .. وتارة تقنعني بانه ليس من أهل هذا المنزل .. حتى ليخيل إلي أنك تعرف السر ولاتخفى عليك خافية .. ولكن حدثني .. كيف يجب أن يكون موقفي من "ناتاشا" .
- لاشيء !
- كيف ؟
- علينا فقط ان نراقبها .
نعم . نعم .
اتركي لي مهمة مراقبتها .
- حسنا ، أعدك بذلك ، فافعل ماشئت ، ولكن حدثني في صراحة ، لماذا قلت لي منذ لحظة إنه لو اقتصر الأمر على الفوضويين لكان هينا؟ ! هل تعتقد إذن أنها ليست من شركاء الفوضويين ؟ . إن لها آراء شديدة التطرف .
- اصغي إلي ياسيدتي . إنك لاترتابين في غير "ناتاشا" وقد وعدت منذ لحظة بان تتركي لي مهمة مراقبتها فعديني بالا ترتابي فيها .
- ولكن لماذا قلت إن الأمر يكون هينا لو اقتصر على الفوضويين ؟
- إنني قلت ذلك ياسيدتي العزيزة لأنه إذا لم يكن لغير الفوضويين اصبع في هذه القضية لهان الأمر كثيرا .. وإلا فهل تعتقدين يا سيدتي

أن الفوضوي الحقيقي ، الفوضوي الجدير ، بهذا الوصف ، يهمه في شيء أن تنفجر قنبلته في آنية الأزهار .

بدلاً من أن تنفجر في أي مكان آخر مادام مقدرا لها على كل حال أن تفتك بالجنرال .

ماذا يهمه إذا انفجرت القنبلة داخل غرفة الجنرال أو خارجها .

ولماذا يضيع وقته مثلا في رفع الواح الخشب من غرفة الطعام لكي يخبىء تحتها إحدى القنابل ، بدلا من أن يلقي القنبلة في الغرفة كيفما اتفق فتنفجر ، وتنسف الجنرال وجميع سكان المنزل .

هل تعتقدين يا سيدتي أن الفوضوي الذي يريد أن يثار لشبيبة موسكو ويستطيع أن يصل إلى باب غرفة الجنرال هو من البلاهة والغباء بحيث يضيع وقته عبثا بثقب الباب بدبوس قبعته بدلا من أن يلقي على باب الغرفة أضخم قنبلة يستطيع أن يحملها دون أن يهمه أن تمزق القنبلة جسمه قبل أن تمزق جسم الجنرال ؟

هكذا يفعل الفوضوي الحقيقي يا سيدتي ، يلقي قنبلته أو يطلق مسدسه . ولا يهمه أن يهلك ، أو يقبض عليه اما غريمنا فإنه يلجا إلى أساليب لصوص الفنادق . لماذا ؟ لأنه لا يريد أن يراه أحد . ولا يريد أن يضبط متلبسا بالجريمة .

وهو لذلك يلزم جانب الحذر التام . ويلجا إلى الوسائل البطيئة .. يلجأ إلى السم وإلى القنابل التي تنفجر في موعد محدد .

- ولكن هل في استطاعة هذا الغريم الذي تتحدث عنه أن يجول في هذا المنزل ليل نهار كما يريد ؟ أجبني .. هل تعرف هذا الغريم ؟

- ربما .. ولكن يجب أن أتاكد .

- بالله .. كم انت جامد العاطفة بطيء الشعور .. ألا تشعر بالفضول إلى معرفة هذا الشقي باسرع ما يمكن ؟ إنه من أصدقاء الأسرة بغير شك وفي استطاعته أن يدخل المنزل ليلا كما يشاء .. لأن بالمنزل من يفتح له نافذة الغرفة الصغيرة الملاصقة لغرفة "ناتاشا" .

وهو ياتي من المنزل الذي يقيم فيه "بوريس" و"ميشيل" .. يا إلهي .. إذن فهو أحد هذين الرجلين . إنه "بوريس" أو "ميشيل" .

رباه . لم لايقتلانني ويريحانني من هذا الشقاء .

هل سمعت قبلا بمثل هذا يا سيدي .. جنديان يتسللان ليلا إلى منزل قائدهما ليفتكا به .. ليفتكا به بمساعدة ابنته إنني لا أستطيع أن أصدق حواسي أن أتهم "بوريس" أو "ميشيل" أو "ناتاشا" . إن جميع حواسي ترفض اتهامهم ولكن بم تفسر الظواهر والشواهد العديدة التي وقعت عليها .

تكلم أجبني .. ألا تستطيع أن تتصور هول الزوبعة التي تعصف في جمجمتي .. ؟

ألا تستطيع أن تتصور النضال الهائل القائم في أعماق نفسي ؟

فقال "بوريل" في هدوء .

- من الحكمة الا تتهمي أحدا أو ترتابي في احد .. وبحسبك أن تري وأن تلاحظي وتنتظري .

المهم الآن أن نعرف نوع السائل الذي سكب في كاس الجنرال .. ما هذا السائل ؟

فقدمت إليه قنينة صغيرة دسها في جيبه ونهض وهو يقول :

- سأذهب الآن لتحليل هذا السائل ومعرفة نوعه وساعود بعد ساعتين على الأكثر . ولكن من المهم الا يعرف الجنرال شيئا .

- اطمئن .. وارجو أن تعود سريعا .. فقد أصبحت لا أستطيع الإقامة هنا بدونك .

وانصرف "بوريل" . وصعدت "ماترينا" إلى غرفة الجنرال وبعد ساعتين عاد "بوريل" . فوجد "ماترينا" تنتظره وهي على أحر من الجمر. أسرعت لاستقباله . فقال لها همسا :

- يجب أن تلزمي الهدوء . هل تعلمين ماذا كان في القنينة التي سكبت محتوياتها في كاس الجنرال ؟

- لا . ماذا كان فيها ؟

- كان فيها كمية من محلول الزرنيخ تكفي لقتل عشرة رجال .

- يا إلهي .

- اصمتي . وهلمي بنا إلى غرفة الجنرال .

أصبح الجنرال في حالة نفسية حسنة . فقد تذوق في تلك الليلة طعم النوم الهادىء لأول مرة منذ مذبحة موسكو .وقد علل ذلك

بامتناعه عن تناول السائل المخدر . فشجعه "بوريل" على مقاطعة السوائل المخدرة . ودار الحديث بين الثلاثة حول أمور شتى إلى أن اقبلت "ناتاشا" للاستفسار عن صحة أبيها .

كانت شاحبة اللون تبدو عليها علامات التعب والإجهاد وتدل سحنتها على انها لم تستمتع في تلك الليلة بنوم هادئ وقد لاحظ الجنرال ذلك . فقالت :

- الواقع إنني قضيت ليلة مليئه بالأحلام المزعجة ولكن انت يا أبي . هل نمت نوما هادئا ؟ وهل تناولت السائل المخدر ؟

- لا .. لا .. إنني لم أتناول منه نقطة واحدة .

- حسنا فعلت .. حسنا فعلت . ليس هناك ما هو الذ وامتع من النوم الطبيعي .

وهنا نظر "بوريل" إلى "ماترينا" نظرة فهمت معناها . فتناولت القدح المليء بالسائل المخدر . وخرجت به من الغرفة وسكبت محتوياته . وتريثت قليلا لتسيطر على شعورها وتهدئ من اضطرابها .

قالت "ناتاشا" :

- سوف ترى يا أبي أن الحياة في هذا المنزل ستسير في مجراها الطبيعي بعد جلاء رجال البوليس .. اليس كذلك يا مسيو "بوريل" ؟

- بلى ذلك رأيي أيضا يا أنسة .. ففي استطاعتكم الأن أن تعيشوا في سلام .. وفي اعتقادي انه لم يعد ثمة خطر .. وبهذه المناسبة يجب أن انتهز الفرصة قبل رحيلي لأشكركم على حسن ضيافتكم . فهتفت "ناتاشا" .

- هل في نيتك أن ترحل يامسيو "بوريل" .

وعادت "ماترينا" في هذه اللحظة .. وسمعت عبارة "ناتاشا" وفتحت فمها لتحتج على رحيل "بوريل" . ولكن هذا الأخير أسكتها بنظرة وقال على الفور :

- في نيتي أن أقضي اسبوعا في المدينة . وقد احتجزت غرفة في احد الفنادق لأتمكن من مقابلة بعض الأصدقاء والزائرين .. ولكن سأتردد عليكم من وقت لأخر فقال الجنرال بصوت رزين .

- هل افهم من عزمك على الرحيل انه لم يعد ثمة خطر ؟

- لا خطر على الإطلاق ..

وما كاد "بوريل" يبتعد عن بيت الجنرال بضع مئات من الأمتار.. حتى لحق به "اورميلوف" وهو يلهث .. وقدم إليه رسالة حملها بريد الصباح .

القى "بوريل" نظرة على غلاف الرسالة ، فوجد اسمه "مسيو جوستاف بوريل" مكتوبا باللغة الفرنسية بخط لا يعرف صاحبه . ففض الرسالة . وقرا فيها ما يلي :

"المرجو من مسيو "ارسين لوبين" الا يهتم بامور لا شان له بها . هذا هو الإنذار الأول والأخير" .

وكان الخطاب غفلا من الإمضاء .. فقطب "بوريل" حاجبيه ثم ابتسم ودس الرسالة في جيبه وهو يغمغم :

- من حسن الحظ انني نفضت يدي من هذه القضية . وانتهى دوري فيها أما مابقي فمن شان "كوبريان" .. فلنذهب إليه .

الفصل السابع
حياة بحياة

تهالك "بوريل" على مقعد وثير في مكتب مدير بوليس موسكو .. وراح يصعد هذا الأخير بعينيه وهو يوصد بابه بعناية .

قال "كوبريان" وهو يعود إلى مقعده .

- الآن نستطيع أن نتكلم دون أن يزعجنا احد فقال "بوريل" في هدوء:

لقد جئتك يا مسيو "كوبريان" لكي أقدم لك حسابا عن مهمتي واترك لك عملية التصفية النهائية .. وستكون مهمة التصفية النهائية قاصرة على إلقاء القبض على المجرم الذي لاأريد أن اعرفه أو أعرف اسمه .

ويجب بهذه المناسبة أن اقول لك إنهم حاولوا ليلة أمس تسميم الجنرال "تريباسوف" بوضع محلول الزرنيخ في قدح السائل المخدر الذي اعتاد الجنرال أن يتناوله ليلا لمقاومة الأرق .

فغمغم "كوبريان" .

- آه .. ألم أقل لك إن المسالة عائلية بحتة ؟ !

- إن المسالة ليست عائلية بحتة كما تعتقد يا مسيو "كوبريان" .. لأن الشخص الذي وضع السم في كاس الجنرال قد جاء من الخارج .. فهو ليس من أهل المنزل كما تتصور .

فسأله "كوبريان" في دهشة : وكيف استطاع الدخول إذن ؟

- من نافذة الغرفة الصغيرة التي تطل على نهر "نيتا" والتي تقع لصق غرفة الآنسة "ناتاشا" . وقد اعتاد الدخول والخروج من هذه النافذة وفي استطاعتك مع شيء من الحكمة واللباقة أن توقع به متى كرر المحاولة .

- وكيف علمت أنه اعتاد الدخول والخروج من هذه النافذة .

- إنه يصعد إلى النافذة بواسطة أنبوب الماء ويستعين على تسلق الأنبوب بخطاف مشدود إلى حبل ، فهو يحيط جسمه بالحبل ويثبت الخطاف بالأنبوب .. وهكذا يستطيع الصعود والهبوط وهو بمأمن من

السقوط .

وقد وجدت آثار هذا الخطاف على الابواب وعلى حافة النافذة .. وهذه الآثار تدل على تعدد المحاولات .

- ولكن هذه النافذة تغلق دائما .

- إن هناك من يفتحها له .

- ومن هو الشخص الذي اعتاد ان يفتحها .

- هذا مالا شان لي به . نعم ليس من شاني أن اذكر لك اسمه . إنني لا أريد أن اعرفه .

فهتف "كوبريان" في الحال :

- آه .. إنها "ناتاشا" بغير شك . لقد كنت واثقا دائما بوجود حية رقطاء في هذا المنزل .

لعلك تذكر أنني قلت لك إنها لاتجسر على الخروج من المنزل إلا نادرا. ذلك لأن شيئا من حركاتها لايخفى علينا وهي تعلم ذلك.

وقد حدث مؤخرا انها قصدت إلى حي "درفينا" وهو حي قديم معروف بانه عش الثوار الفوضويين . فاجتازت جميع شوارعه . دون أن تقابل أحدا فيه . ودون أن تتحدث إلى أحد أو تطرق أحد الأبواب . لماذا ؟ لأنها أحست بأن هناك من يتبعها وبانها موضوعة تحت المراقبة. فكان من المتعذر عليها أن تقابل شركاءها في الخارج . ولذلك عمدت إلى مقابلتهم في منزل أبيها .

- إنها لم تقابل في المنزل غير شخص واحد .

- هل أنت واثق بذلك ؟

- نعم .. فالآثار التي اكتشفتها على أنبوب الماء .. وعلى حافة النافذة لا تترك مجالا للشك في أن خطافا واحدا قد استعمل في جميع المحاولات .

- يالها من شقية ..

- يخيل إلي أن هذه الفتاة تزعجك أكثر من أي إنسان آخر في روسيا يا مسيو "كوبريان" . بيد أنني لم أجئ الآن للتحدث إليك عنها .. إنما لأرشدك إلى الطريق الذي اعتاد أن يسلكه الشخص الذي يعمل على الفتك بالجنرال .

- أليست هي التي تمهد له الطريق ؟ أليست هي التي تفتح له نافذة الغرفة ؟
- لاشأن لي بهذا .
- يا لها من تعسة .. هل تعتقد أن بينها وبين ذلك الشخص صلة غرام ؟
- لا ..
- هذا صحيح .. فـ "ناتاشا" ليست بالفتاة التي تعشق وتتورط في الحب . إنها امرأة بلاقلب .. ولكنها ذات عقل .. ومن كان على شاكلتها وتسمم عقله بأدران الثورة والتمرد والفوضوية فإنه لا يحجم عن شيء من الفظاظات وأطرق "كوبريان" برأسه لحظة ثم سأل :
- ولكن ترى هل المسألة مسألة مبدأ اجتماعي فحسب ! إنني أميل إلى الاعتقاد بأننا حيال مأساة عائلية فحسب .. مأساة عائلية لا أكثر ولا أقل .
هل تعلم يا مسيو "بوريل" أن "ناتاشا" تصيب من وفاة أبيها ثروة طائلة ؟
فأجاب "بوريل" :
- أعلم ذلك .
وقد نطق "بوريل" بهاتين الكلمتين بصوت عجيب .. جعل "كوبريان" ينظر إليه بحدة ..
سأله :
- ماذا بك ؟
فأجاب "بوريل" بصوت رزين :
- لاشيء . كل ماأريدك أن تقتنع به هو أننا حيال عمل من أعمال الفوضويين .. ولسنا حيال جريمة يراد بها الحصول على المال .
- وما الذي يحملك على هذا الاعتقاد ؟
- إنني تسلمت اليوم رسالة تهديد .. أعتقد أنها من الفوضويين.
فضحك "كوبريان" وهتف .
- كن على حذر إذن يامسيو "بوريل" .
- أنا لا أخشى شيئا .. لأنني نفضت يدي من هذه القضية وانتهى

الأمر .. فقط أردت أن أقول لك إن غريمنا هو فوضوي من طراز جديد يختلف عن الفتيان الفدائيين الذين تزودهم الجمعيات الفوضوية بالقنابل .. فينطلقون بها وهم عالمون أنهم ذاهبون إلى الموت .

– وإلى أين وصلت في اقتفاء أثر هذا الغريم ؟

– إلى بيت "كريستوفسكي" على ضفة نهر "نيفا" فوثب "كوبريان" من مكانه وهتف .

– بيت "كريستوفسكي" حيث يقيم الضابط "بوريس" فهمت كل شيء الآن .. إنه خطيب "ناتاشا" ، ولا شك أنه يعمل مع هذه الأخيرة للحصول على ثروة الجنرال بأسرع ما يمكن فقال "بوريل" في هدوء :

– هذا المنزل يقطنه كذلك "ميشيل" "كوساكوف".

– هذا الشاب من أخلص جنود القيصر رغم رقة شعوره .

– من الحكمة أن يرتاب الإنسان بكل شخص يا مسيو "كوبريان" .

– ولكني أثق بهذا الضابط كل الثقة .

– يجب أن يرتاب الإنسان في جميع الناس يا مسيو "كوبريان".

..أنا مثلا .. لا أستطيع الارتياب في رجالي .. لأنني أعرفهم حق المعرفة .

– إنك مخطئ ..

– ماذا تعني ؟

– سأقول لك شيئاً قد يفيدك إذا حاولت أن تضع يدك على عنق صاحبنا الذي اعتاد أن يغشى بيت الجنرال كلما أراد .

نعم .. إذا أردت أن تفرض على بيت الجنرال رقابة صحيحة ، فإنه يتعين عليك أن تختارلمراقبة النافذة المعهودة شخصا تثق به كما تثق بنفسك . لا رجلا يقوم بحراسة غريمك لكيلا يفاجئه أحد وهو يتسلق أنبوبة الماء .

– لا أستطيع أن أفهمك يا مسيو "بوريل" .

– إن جميع الدلائل والآثار تدل على أن ذلك الغريم اعتاد تسلق أنبوبة الماء .. والوثوب من النافذة في ذات الوقت الذي كان فيه رجالك يحرسون المنزل ليل نهار . ولكن هل لاحظت يا مسيو "كوبريان" أن رجلا معينا من رجالك اعتاد القيام بالحراسة ليلا باستمرار تحت هذه النافذة ؟

يوجد بمنزل الجنرال دفتر خاص لتسجيل أسماء رجالك الذين قاموا بالحراسة فإذا فحصت ما هو مسجل بهذا الدفتر .. تبين لك أن رجال البوليس كانوا يتناوبون الحراسة في جميع أركان المنزل والحديقة .. ماعدا واحدا منهم كان يفضل دائما أن يقوم بالحراسة والمراقبة أثناء الليل تحت تلك النافذة .. ولم يكن بين زملائه من ينازعه هذه المهمة أو يغبطه عليها .. لانهم كانوا جميعا يفضلون الرقابة في شرفة المنزل أو في الداخل حيث يتناولون ماتشتهي أنفسهم من طعام وشراب .

وهذا الرجل الذي اعتاد أن يفضل قسوة البرد تحت النافذة على الدفء في الداخل هو شرطي يدعى "تومان" .

فصاح "كوبريان" كمن لا يصدق أذنيه :

- "تومان" ! هذا مستحيل .. إنه من افضل رجال الشرطة .. وقد أوصى به رؤساؤه فنقل من مركز البوليس في "كييف" إلى إدارة الشرطة في موسكو .

فلم يجب "بوريل" ، واخذ "كوبريان" يسير في الغرفة جيئة وذهابا وعلى وجهه علامات التفكير العميق ، وأخيرا قصد إلى الباب ففتحه وأصدر إلى أحد رجاله أمرا باللغة الروسية .. ثم عاد وهو يقول :

- والآن اسرد علي تفاصيل حادث السم وكيف وقع .. فشرع "بوريل" يسرد عليه التفاصيل كما يعرفها القراء .. وما كاد ينتهي من حديثه حتى فتح الباب ودخل أحد رجال الشرطة وفي أثره اثنان من اتباع "كوبريان" .. قصد "كوبريان" إلى الباب واغلقه بنفسه ، ثم عاد إلى الشرطي وراح يصعده بعينيه .

قال له فجاة :

- إن لي معك حديثا يا "تومان" .. أنت رجل خائن .. وعندي الدليل على خيانتك ، فاعترف فاعطيك الف روبل وأصفح عنك .

فارتجفت أهداب الشرطي ، وقال كلاما باللغة الروسية ، فصاح به "كوبريان" :

- إنك تجيد اللغة الفرنسية فتكلم بها فقال الرجل بصوت ثابت :

- إنني لا افهم ما تعني يا سيدي .

- أريد أن اقول لك إنك ساعدت شخصا على دخول منزل الجنرال "تريباسوف" ليلا بينما كنت تقوم بالحراسة تحت إحدى النوافذ .. لاتحاول أن تنكر ، لأنني اعرف جميع التفاصيل .. ولكني أود اختصار الوقت فاعرض عليك صفقة رابحة بالنسبة إليك .. اذكر لي اسم ذلك الشخص الذي ساعدته على دخول المنزل ، فاصفح عنك وانقدك الف روبل .

- إنني على استعداد لأن اقسم بأن ..

- لاتحلف كذبا ..

- إن ماضي يدل على انني رجل شريف مخلص .

- أريد معرفة اسم ذلك الرجل .

- أؤكد لك مرة أخرى ياسيدي انني لاافهم شيئا . فضرب "كوبريان" المكتب بقبضة يده وهتف :

- بل أنت تفهم ما أعني .. لقد استطاع أحد الناس دخول منزل الجنرال "تريباسوف" من خلال النافذة أثناء وجودك تحتها ليلا .

- لم أر شيئا يا سيدي .. ومن المحتمل أن يكون أحد الناس قد استطاع الدخول دون أن أشعر به أو أراه نظرا لشدة الظلام في بعض الليالي .

- أنت خائن تغش .. أريد معرفة اسم الرجل .

- أؤكد لك يا ..

فقاطعه "كوبريان" بأن نظر إلى» الشرطيين اللذين جاءا برفقة "تومان" وصاح :

- انزعا ثيابه .

فهتف "بوريل" :

- ماذا تريد أن تفعل يامسيو "كوبريان" .. ماذا تريد أن تفعل ؟

ولكن "كوبريان" لزم الصمت .. وراح يسير في الغرفة جيئة وذهابا بينما شرع الشرطيان في نزع ثياب "تومان" الذي لم يبد أية مقاومة .

صاح "بوريل" مرة أخرى وهو يسير في أثر "كوبريان" كأنه يستجديه أو يضرع إليه :

- ماذا تريد أن تصنع يا سيدي ؟

فاجاب "كوبريان" بغلظة :
- إليك عني .
واختطف سوطاً من الجلد .. وانهال به على جسد "تومان" .. وهو يصب عليه اقبح الشتائم والسباب .
كان السوط يهبط على جسد الرجل التعس .. فيترك فيه اثرا داميا عميقا .. كل ذلك والرجل صامت لا يتاوه ولايصيح كانه قديس يهون عليه أن يموت ولا يرجع عن عقيدته .
ولما القى "كوبريان" السوط اخيرا وهو يلهث تعبا وغيظا ، هتف "بوريل" بصوت أجش .
- سوف انبئ القيصر بهذه القساوة .
فاجاب "كوبريان" :
- إنك لاتعلم مبلغ الضرر الذي ربما ترتب على خيانة هذا الشقي ..
وهنا القى "تومان" ثوبه على كتفيه وارتمى على أحد المقاعد وقال بصوت لاهث وهو ممتقع اللون .. لامع العينين :
- نعم .. لا أحد يعلم ما كنت اضمر من الضرر .. إنك ورجالك ومن هم على شاكلتك قد فعلتم بي اقصى ما يمكن لإنسان لايعرف للرحمة والإنسانية معنى أن يفعله بإنسان لايملك لضركم وقسوتكم دفعا ..
إنني لا ادعى "تومان" .. بل أدعى "ماتييف" .. فاصغ إلي يا "كوبريان" ..
لقد كان لي ولد .
وهنا اغرورقت عينا الشرطي الشيخ بالدموع واستطرد :
- كان لي ولد هو أعز علي من حياتي .. وإنسان عيني ولم تكن لدى ولدي نزعة سياسية .
كنت موظفا في موسكو .. وكان ولدي طالبا .
وقد حدث اثناء الاحتفال بعيد العمال الذي يسميه الثوريون "الاسبوع الأحمر" أن خرجت مع ولدي لشهود ما يقع في الشوارع بالقرب من حي "برسينا" فقد قيل لنا إن معركة هائلة وقعت هناك بين الثوار ورجال البوليس فدفعنا الفضول إلى رؤية الآثار التي تخلفت عن هذه المعركة .
مررنا بمركز البوليس في "برسينا" فاعترضنا جماعة من رجال

الشرطة يرابطون في عرض الطريق ، وراحو يستوقفون المارة ويفتشونهم .

وقفت مع ولدي . وحللنا ازرار معاطفنا وثيابنا . واقبل رجال الشرطة يفتشوننا ولاحظوا ان ولدي يرتدي تحت معطفه ثوبا من ثياب الطلاب الذين كانوا وما زالوا قذى في عيون البوليس وأعداء الثورة . ففتشوه بعناية . ووجدوا في صدريته دفترا صغيرا كان قد سجل فيه أنشودة من اناشيد العمال نشرتها إحدى الصحف مؤخرا .

ولم يكن بين أولئك الشرطة من يجيد القراءة فحسبوا أن الأنشودة منشور يحض على الثورة . والقوا القبض على ولدي .

طلبت إليهم أن يعتقلوني معه فطردوني .

أسرعت إلى الجنرال "تريباسوف" الحاكم العسكري .. وطلبت مقابلته ولكنه أمر رجاله بطردي . فابعدوني عن بابه باحذيتهم .

ولما الححت في مقابلته امر بوضعي في السجن حتى صباح اليوم التالي .

ولما أطلقوا سراحي في اليوم التالي .. اسرعت إلى مركز البوليس في "برسينا" وسالت عن ولدي .. فقالوا لي إنهم لا يعرفونني ولا يعرفون ولدي .

بيد أن أحد الشرطة الذين القوا القبض على ولدي في اليوم السابق عرفني وأشار إلى مركبة خرجت في تلك اللحظة من مركز البوليس يحيط بها جماعة من القوذاق وقال لي "إن ولدك في هذه المركبة .. إنهم يحملونه إلى المقبرة" .

جن جنوني حزنا ويأسا .. تتبعت المركبة عن كثب حتى بلغت إلى جولونتين حيث المقبرة العامة التي تلقى فيها جثث المجهولين والمجرمين .

وقفت المركبة هناك . واخرج ، منها القوذاق ثلاث عشرة جثة مددوها على الثلج .

بحثت عن جثة ولدي حتى وجدتها رايت على وجهه أبلغ آثار النكال والتعذيب .

قلت للجنود إنه ولدي . فسمحوا لي بان اقبله لآخر مرة .

قبلته . وقبلته في مواضع الجروح التي أثخن بها جسده الغض.

كانت أربعة عشر جرحا . ووجدت أن الجنود قد سرقوا السلسلة

الذهبية التي تدلت منها صورة والدته .

اقسمت أن انتقم .. ولم تكد تنقضي أربع وعشرون ساعة ، حتى وضعت نفسي تحت إمرة اللجنة المركزية للثورة وبعد أسبوع .. صدر الأمر بنقل الشرطي "تومان" من بوليس "كييف" إلى بوليس "موسكو" . ولكنه قتل بطريقة غامضة بعد أن بارح "كييف" واختفت جثته . وجاءتني أوراقه الشخصية عن طريق اللجنة المركزية .. وقيل لي إنني أشبه "تومان" كل الشبه . وأن في استطاعتي أن أخدم الثوار وأنا في سلك رجال البوليس كما لاأستطيع وأنا طريدهم .

كان كل أملي في الحياة أن أنتقم من "تريباسوف" أو أساهم في الانتقام منه .. آه .. كم وددت لو أستطيع أن أخنقه بيدي ..

غير أن اللجنة المركزية كانت قد ناطت بسواي مهمة إنقاذ روسيا من شر هذا الطاغية .. وبذلك اقتصرت مهمتي على مساعدة الشخص الذي اختارته اللجنة .

والآن . هل تعتقد أنني أبوح لك باسم هذا الشخص أبدا .

على أنك إذا عرفت هذا الشخص ، فسوف يتلوه آخر . وآخر حتى يفنى الثوار جميعا . أو يهلك "تريباسوف" الطاغية هذا كل ما أستطيع أن أقوله لك يا "كوبريان" .

وصمت الرجل وهو يلهث .. ثم تحول فجاة إلى "بوريل" .. وقال وشرر الغضب ينبعث من عينيه :

- أما أنت . فلم تعد حياتك أثمن من حياتي . وذلك خير عزاء لي .

وكان "كوبريان" قد ترك الرجل يتكلم ويفضي بما عنده دون أن يحاول مقاطعته .

فلما فرغ من كلامه نظر إليه في حزن وقال :

- هل تعلم أيها التعس أن مصيرك سيكون الإعدام شنقا .

- فصاح "بوريل" :

- لا يا مسيو "كوبريان" . أراهنك على أن هذا الرجل لن يعدم .

- فاوما "كوبريان" إلى الشرطيين أن يذهبا بـ "تومان" وقال موجها سؤاله إلى "بوريل" :

- ولماذا ؟

- لأنني أنا الذي وشيت به .
- وهل ذلك يبرر الصفح عنه ؟ ماذا تريدني أن أصنع به ؟
- ضعه تحت الحراسة . واحتفظ به لي .
- باي مقابل ؟
- في مقابل حياة الجنرال "تريباسوف" . حياة بحياة وستكون انت الرابح .
فقال "كوبريان" بلهجة التهكم :
- إنك تتكلم كما لو كانت حياة الجنرال "تريباسوف" في قبضة يدك ولك حرية التصرف بها .
فالقى "بوريل" بيده على كتف "كوبريان" وقال :
- ربما ..
- هل تريد أن أقول لك شيئا يا مسيو "بوريل" ؟..
اعلم إذن بان حياة الجنرال "تريباسوف" بعد هذا الذي سمعته من "تومان" الذي ليس بـ "تومان" .. لم تعد أثمن من حياتك إذابقيت في روسيا يوما أخر .. ومن الأفضل لك أن ترحل باول قطار .
فاخذ "بوريل" يسير في الغرفة جيئة وذهابا ثم قال فجاة :
- لا . لن أرحل .
- لماذا .
- يجب أن أوضح لجلاله القيصر ماعجز مدير بوليسه عن إيضاحه من أسرار القضية التي كلفت بتحقيقها .
فعض "كوبريان" على شفته وأطرق براسه .
سال "بوريل" وفي عينيه بريق الفوز :
- ماذا في نيتك أن تفعل بهذا الرجل ؟
- سارسل به إلى المستشفى العسكري لمعالجته .
- ثم ؟
- ثم أدفع به إلى جهة الاختصاص .
- أي إلى المحكمة فالمشنقة ؟
- ربما ..
- دعني أكرر لك ما قلته منذ لحظة يا مسيو "كوبريان" ..

حياة بحياة .. امنحني حياة هذا الشيخ التعس .. واعدك بحياة الجنرال "تريباسوف" .

- أوضح ..

- ليس هناك ما يحتاج إلى الإيضاح .. هل تعدني .. بان تكتم قصة هذا الرجل .. ؟

- حسنا . ولكن بشرط .

- هو ؟

- هو أن تحدثني بتفاصيل التحقيق الذي قمت به والأدلة التي وقعت عليها لكي أقدم تقريري إلى جلالة القيصر .

- اتفقنا .. وبهذه المناسبة أرجو أن تتخذ الإجراءات الضرورية بشان جواز سفري . لأن في نيتي الرحيل غدا .

الفصل الثامن
مأساة

عاد "بوريل" في المساء إلى منزل الجنرال "تريباسوف" .
أدهشه وهو يهم بدخول المنزل أن يسمع حركة غير عادية في الغابة القريبة .
حانت منه التفاته .. فرأى بين الأشجار راسا يرتفع فوق الأعشاب ثم يغوص فجاة ..
كان راس رجل من رجال الشرطة .
وقف في مكانه لحظه وقال لنفسه :
- ترى هل بث "كوبريان" رجاله حول المنزل مرة أخرى ؟
قصد إلى الغابة . ولم يكد يصل إلى الصف الأول من الأشجار حتى برز له "كوبريان" وفي يده مسدس .
ساله :
- انت هنا . وبنفسك .
فارتسمت على فم "كوبريان" ابتسامة غامضة .. واجاب بصوت غريب لم يالفه "بوريل" .
- نعم ..
- هل من جديد ؟
فاجاب مدير البوليس بتلك اللهجة الغامضة :
- إن عندي من الأسباب مايحملني على الاعتقاد بان محاولة اخرى ستقع الليلة .
- هل "ناتاشا" بالمنزل ؟
- نعم .. واعتقد انها في غرفتها . على الرغم من أنني لا ارى ضوءا في نافذتها .
هل أخطرت "ماترينا بتروفنا" ؟
- نعم . وطلبت إليها أن تكون على حذر . والا تامن لإنسان .. قال ذلك ونظر إلى "بوريل" نظرة خاصة لم يلاحظها هذا الاخير .

قال "بوريل" :

- إنك أخطأت .. لو كنت في موضعك لما أخطرتها بشيء .

- إنني طلبت إليها أن تلازم فراش زوجها .. ولاتبرح غرفته طوال الليل .

فابتسم "بوريل" وقال :

- إنها كالحركة الدائمة ولن تعمل بمشورتك . ولكن حدثني . هل اتخذت إجراءات أخرى ؟

- بالتأكيد إنني أفدت من جميع المعلومات التي افضيت بها إلي .. وبثثت رجالي على طول الطريق بين ضفة النهر وهذا المنزل.

- وماذا في نيتك أن تفعل ؟

- هذا يتوقف على الظروف . يجب أن أعمل شيئا على كل حال..

- أتمنى لك التوفيق ، وإلى اللقاء .

- إلى أين أنت ذاهب ؟

- إنني ذاهب لأنام بالتأكيد .

ومد يده إلى "كوبريان" ، ولكن هذا أمسك بها وهمس :

- صبراً . اصغ . ألا تسمع ؟

- فارهف "بوريل" أذنيه ، وسمع حركة مجداف في الماء وهتف .

- إنه جاء سالكا الطريق ذاته الذي سلكها ليلة أمس ، ساترصده في المنزل ، حتى يثب من سور الحديقة .

قال ذلك وانبطح على الأرض ، وراح يزحف على يديه وركبتيه ، حتى وصل إلى المنزل ، وهناك لاحظ أن النافذة المعهودة مفتوحة قليلا .

وفي اللحظة ذاتها ، شعر "بوريل" بحركة بالقرب من سور الحديقة اشهر مسدسه وتوارى خلف إحدى الأشجار .

ومر الشخص أمامه . فحاول أن يرى وجهه ، لكنه كان مقنعا وقد التف بوشاح أسود كبير .

وفي هذه اللحظة فتحت النافذة قليلا .. وأطل منها رأس "ناتاشا" ثم اختفى الرأس في الحال .

وشرع الرجل الخفي يتسلق أنبوب الماء بالطريقة التي وصفها "بوريل" من قبل .

وعندئذ ارتفع صراخ "ماترينا بتروفنا" .

كانت تصيح باللغة الروسية .. وفهم "بوريل" انها تستغيث بـ"كوبريان" وتطلب إلى رجاله أن يطلقوا النار .

ولاحظ "بوريل" أن الرجل قد تردد في منتصف الطريق بين أن يواصل الصعود . وبين أن يهبط . ورأى رجال "كوبريان" قد خرجوا من مكامنهم .. وراحوا يثبون نحو الحديقة .. فاسرع إلى الطابق الأول ليتلقى غريمه هناك .. ولم يكد يصل حتى رأى "ماترينا" تطل من إحدى النوافذ . وتمسك مسدسا في يدها .

انتزع منها المسدس وهو يصيح :

- لاتقتليه . نريد أن ناخذه حيا .

وأسرع نحو غرفة "ناتاشا" ، فوجد بابها مغلقا .

انتقل إلى الغرفة المجاورة . ورأى "ناتاشا" تطل من النافذة وترقب باهتمام شديد مراحل النضال بين الزائر الخفي ورجال البوليس .

وكان أحد رجال "كوبريان" قد أطلق الرصاص على الرجل فاخطاه وقابله هذا بالمثل واصابه بجرح في ساعده .

ورأى "بوريل" أن الرجل بدا يهبط بسرعة فوثب إلى الخارج ليقطع عليه سبيل الفرار .

وفي هذه الأثناء دخلت "ماترينا بتروفنا" الغرفة الصغيرة ورأت "ناتاشا" تطل من النافذة فاطبقت على عنقها كاللبؤة الثائرة . وسقطت الاثنتان على الأرض . وجثت المراة على صدر الفتاة وهي ترغي وتزبد وأوشكت أن تغرز أظفارها في عنق "ناتاشا" . لولا انها رأت الجنرال "تريباسوف" قد انتصب امامها كانه شبح برز من الظلام .

ذعرت "ماترينا بتروفنا" ..

باية معجزة استطاع "فيودور تريباسوف" أن ينهض من مقعده ويسير على قدميه .

كان الشيخ يرتجف حنقا وغضبا .. سال بصوت كالرعد :

- ماذا حدث ؟

فالقت "ماترينا" بنفسها تحت قدميه .. ورسمت علامة الصليب على صدرها كما لوكانت قد رأت ميتا يخرج من القبر .. وقالت وهي تشير

باصبعها إلى "ناتاشا" :
- حدث أنهم ارادوا مرة أخرى أن يقتلوك يا "فيودور" .. والشخص الذي فتح النافذة لأعدائك ليلة أمس ، وفتحها الليلة هو ابنتك .
فاستند الجنرال إلى الجدار وراح ينقل البصر بين زوجته وابنته..
ثم قال للأولى .
- إنك أنت التي تقتلينني .
فصاحت "ماترينا" :
- لو كتمت عنك الحقيقه لكنت قتلتك .. ولكنني لن أجلب عليك شيئا من الألم بكلمة أنطق بها ، وبحسبك أن تسال ابنتك ، فإذا أجابت بانني لم أذكر غير الحقيقة فاقتلني كما تقتل كلبا .. أواه : كم أود أن أموت .. اقتلني .
فدفعها الجنرال بقدمه كما يدفع شيئا دنسا .. فنهضت على ركبتيها.. وراحت تجيل حولها بصرا تائها .
كانت تبحث عن المسدس الذي انتزعه "بوريل" منها . ولو أنها وجدته لما ترددت لحظة واحدة في أن تطلق منه رصاصة على قلبها لأن "فيودور" لم يصدقها ولأنها جلبت على نفسها سخطه واحتقاره .
قال الجنرال لابنته بصوت هادئ :
- انهضي يا "ناتاشا" .. فجففت الفتاة دموعها ، وأدركت في الحال أن أباها لم يصدق التهمة التي وجهت إليها .
نهضت واقفة ، واقتربت منه وركعت أمامه ، ورفعت يديه إلى شفتيها .
وفي هذه اللحظة . دخل "كوبريان" وفي أثره "بوريل" فنهضت "ماترينا" في الحال ونظرت إليهما متسائلة ، فقال "كوبريان" بصوت رهيب :
- لقد قتلناه .
وسمعت "ناتاشا" هاتين الكلمتين : فافلتت من بين شفتيها صيحة ذعر ..
وهتفت "ماترينا" .
- من هو ؟ ! من هو ؟ !

فاقترب "كوبريان" من الجنرال وتناول يده . وشد عليها وهو يقول :
- يا سيدي الجنرال .. كان هناك رجل جعل من نفسه أداة في يدي أعدائك قد قتلنا هذا الرجل . فسأله الجنرال :
- هل هو ممن اعرفهم !
- إنه كان من أصدقائك . وكنت تعامله كأنه ابنك .
- اسمه ..
- سل ابنتك عن اسمه ..
فتحول الجنرال إلى "ناتاشا" . وكانت هذه تنظر إلى وجه "كوبريان" بحدة كأنها تريد أن تتبين مبلغ كلامه من الصحة .
قال الجنرال :
- هل تعرفين الرجل الذي أراد قتلي يا "ناتاشا" ؟
- فأجابت في الحال .
- لا .. أنا لا أعرف أحدا ممن يريدون قتلك . فقال "كوبريان" بصوت أجش :
- إنك تعرفين هذا الرجل يا آنسة .. وقد فتحت له النافذة ، هذه الليلة وليلة أمس ومرارا قبل ذلك .
نعم .. في الوقت الذي كنا نتولى فيه حراسة هذا المنزل لنمنع كائناً من كان من الدخول حيث يقيم الجنرال "تريباسوف" حاكم موسكو العسكري ، الذي قضت اللجنة المركزية الثورية بإعدامه ، كنت أنت تساعدين أعداء أبيك على دخول المنزل .
فصاح الجنرال :
- أجيبي يا "ناتاشا" .. أجيبي بنعم .. هل مكنت أحدا .. من دخول هذا المنزل ليلا ؟
- نعم يا أبي .
فزمجر "تريباسوف" كالأسد :
- ما اسمه ؟
فأومأت برأسها نحو "كوبريان" وأجابت بصوت أجش :
- يستطيع هذا السيد أن يذكر اسمه .. لماذا لاينطق باسمه طالما يعرفه ومادام قد قتله ؟

فقال الجنرال :

- وإذا كان هذا الرجل لم يمت .. إذا كان قد تمكن من الفرار ، فهل تذكرين لي اسمه ؟

- لا استطيع يا أبي .

- وإذا توسلت إليك ؟

فهزت الفتاة رأسها سلبا ..

استطرد الجنرال :

- وإذا أمرتك .

- تستطيع أن تقتلني يا أبي . ولكن لن أذكر اسمه .

- أيتها التعسة !!

ورفع عصاه في يده . خيل للناظرين أنه سيهوي بها على رأسها. ولكن الفتاة لم تحاول اجتناب العصا بل قالت وهي تنظر إلى "كوبريان" نظرة فوز :

- إنه لم يمت ، لو أنك أخذته حيا أو ميتا لاستطعت أن تذكر اسمه .

فاقترب منها "كوبريان" ، وألقى بيده على كتفها وقال :

- إنه ميشيل "كورساكوف" .

فصاح الجنرال :

- ميشيل "كورساكوف" .

وهتفت "ماترينا" كأنما سري عنها :

- ميشيل "كورساكوف" .

لم يصدق الجنرال أذنيه ، ونظر إلى ابنته فرآها تهم بالفرار إلى غرفتها وهي ممتقعة اللون ، مضعضعة الحواس ولكنه استوقفها بنظرة سريعة ، وصاح :

- "ناتاشا" ، اذكري لي لماذا كان "ميشيل" يدخل هذا المنزل تحت جنح الظلام ؟

فلزمت "ناتاشا" الصمت ، وصاحت "ماترينا" :

- لماذا ؟ لكي يدس لك السم .

ورات "ماترينا" من تداعي "ناتاشا" ما شجعها ، فراحت تسرد على زوجها مالم يكن يعلمه من حوادث الليلة السابقة ، وأتمت حديثها بان أشارت إلى "بوريل" وهتفت :

– هو ذا الذي أنقذ حياتك يا "فيودور" .

وكان "بوريل" في أثناء ذلك يرقب "ناتاشا" عن كثب فرآها مرارا وهي تهم بمقاطعة "ماترينا" ، ولاحظ أن دهشتها لوقائع الحادث لا تقل عن دهشة الجنرال ، فلما فرغت "ماترينا"من كلامها ، وهتفت "هو ذا الذي أنقذ حياتك يا فيودور" تحولت "ناتاشا" نحو "بوريل" . والهبته بنظرة نارية وصاحت :

– بل هو ذا الذي كان سببا في قتل رجل بريء !

ثم نظرت إلى أبيها واستطردت :

– أبي .. أبي .. دعني أقل لك إن "ميشيل كورساكوف" الذي دخل هذا المنزل خلسة أكثر من مرة ، وحاول دخوله الليلة ، هو غير الرجل الذي جاء لك بالأمس ودس لك السم .

فامتقع وجه "بوريل" ولكنه أجاب :

– بل هو بعينيه يا آنسة .

وقال "كوبريان" :

– يضاف إلى ذلك أننا وجدنا الدليل على وجود صلة بين "ميشيل كورساكوف" والفوضويين ..

فهتفت "ناتاشا" في ألم :

– أين وجدت هذا الدليل ؟

– في منزل "ميشيل" .

فقالت بلهجة الاستعطاف :

– وما هو هذا الدليل ؟

– رسائل تبودلت بينه وبين الثوار . وقد صادرناها .

– وماذا تتضمن هذه الرسائل ؟

– إذا كان أمرها يهمك فإنني آمر بإحضارها .

- يا إلهي . يا إلهي .. أين وجدتها . اجبني أين وجدتها ؟

- قلت لك إننا وجدناها في غرفته . في درج مكتبه .

فتنفست "ناتاشا" الصعداء ، بيد أن الجنرال أسرع فامسك بساعدها بعنف وقال :

- تكلمي يا "ناتاشا" . ماذا كان هذا الرجل يعمل هنا ليلا ؟

فهتفت "ماترينا" :

- نعم . ماذا كان يعمل في غرفتها ؟

فتحولت "ناتاشا" إلى "ماترينا" وصاحت :

- ما الذي يجول بخاطرك . تكلمي .. افصحي .

قال الجنرال :

- إنني في الواقع لا استطيع أن افهم شيئا .. تقولين يا "ناتاشا" إنك لاتعرفين الرجل الذي أراد قتلي .. ربما كنت صادقة .. إنني اتمنى أن تكوني صادقة . اتمنى واسال الله ان تكوني كذلك .. ولكن لماذا كنت تستقبلين "ميشيل" في غرفتك تحت جنح الظلام ؟ لماذا ؟ لماذا كان يدخل المنزل كانه لص .. او كانه ..

فقاطعته الفتاة :

- أنت تعلم يا أبي أنني أحب "بوريس" .. ولاأحب سواه .

- إذن ؟ إذن ألا تريدين أن تتكلمي .

فهتفت الفتاة في انفعال :

- لاتسالني يا ابي .. اضرع إليك الا تسالني . ليس في مقدوري أن اقول شيئا .. كل مااستطيع أن اقوله الآن هو أن "ميشيل كورساكوف" لم يدخل هذا المنزل ليلة أمس .

فقال "بوريل" بصوت خافت .. ولكنه لا يخلو من الاضطراب :

- انا واثق بانه دخل هذا المنزل ليلة أمس .

وقالت "ماترينا" :

- لا شك في ذلك .. إنه جاء حاملا السم ليقتل به اباك يا "ناتاشا" .

فقالت "ناتاشا" في ثبات :

- وانا واثقة بانه ليس هو .. ولا يمكن ان يكون هو واقسم أن الذي دخل المنزل ليلة أمس هو رجل سواه .

فقال "كوبريان" :

- إذا كان الشخص الذي دخل هذا المنزل أمس هو رجل آخر غير "ميشيل" فإنك على كل قد ساعدته على الدخول .

- ربما اكون قد ساعدته على ذلك دون أن أعلم .. والواقع أنني تركت النافذة مفتوحة .. لأنني كنت على موعد مع "ميشيل" .. ولكنه لم يات .. ولما سمعت اثناء الليل جلبة في الجناح الآخر من المنزل ، أسرعت إلى النافذة فاغلقتها .

اما "ميشيل" فإنني على يقين بانه لم يرتكب الجريمة التي عنها تتكلمون . ومع ذلك فإنكم قتلتموه . يا إلهي . يا إلهي إنكم لا تعلمون ماذا صنعتم .

فاجاب "كوبريان" ببرود :

- إن ما صنعناه هو اننا تخلصنا من رجل جعل من نفسه أداة بين أيدي الفوضويين ! ..

فصاحت الفتاة بحدة :

- هذا غير صحيح . هذا كذب . هذه تهمة ملفقة . أين الأدلة . أين الأوراق التي تزعم أنك عثرت عليها عنده ؟

فقال الجنرال :

- نعم . أين الأوراق يا "كوبريان" . جئني بها في الحال أريد أن اراها .

فظهرت على وجه "كوبريان" علامات الحيرة . ولاحظت "ناتاشا" حيرته فهتفت :

- نعم . ليقدم إلينا هذه الأوراق . إنه لا يملكها ولايملك أي دليل . ارايت يا ابي . اؤكد لك انه لا يملك دليلاً واحداً ولا وثيقة واحدة..

وانهمرت الدموع من عينيها . ولكنها كانت دموع الفرح .

سال الجنرال :

- أصحيح يا "كوبريان" أنك لا تملك دليلا ؟
فأجاب "كوبريان" :
- نعم يا سيدي الجنرال . الواقع أن رجالي وصلوا بعد فوات الوقت ووجدوا أن هناك من أخفى أوراق "ميشيل" فصاحت "ناتاشا" :
- إنه لم يجد شيئا .. ومع ذلك يجرؤ على اتهام "ميشيل" المسكين بأنه كان على اتصال بالفوضويين .
ولماذا يتهمه .. ؟ لأنني كنت أقابله خلسة .. ولكن هل أنا من الفوضويين كذلك ؟ هل أعمل على قتل أبي ؟ أرأيت يا أبي . إنه لا يجد ما يقوله .. إنه كان كاذبا .
- لماذا خدعتنا يا "كوبريان" ؟
- نحن واثقون يا سيدي الجنرال بأن الرجل الذي حاول قتلك بالسم أمس ، والذي فاجأناه وقتلناه هذا المساء هما شخص واحد .
فصاح الجنرال بضجر :
- وما الذي يحملك على هذه الثقة ؟
- سل هذا السيد .
- وأشار إلى "بوريل" فقال هذا :
- إن في استطاعتي أن أقدم الدليل على أن شخصا واحدا فقط كان يتردد على هذا المنزل خلسة .. وقد ترك بالأمس مثل الآثار التي كان يتركها في المرات السابقة .
فألقى الجنرال بيده على كتف "بوريل" وقال :
- أصغ إلي يا سيدي . لقد دخل رجل هنا ليلة أمس .. وهذا أمر لا يعني أحدا سواي . ولا يجب أن يدهش أحدا سواي . نعم هذه مسألة أستطيع تصفيتها مع ابنتي ولكنك تزعم أن هذا الرجل دس لي السم أمس . وهذا الزعم يغير الموقف . ولكي أصدقك يجب أن أرى الدليل .
تقول إن الرجل ترك أثرا . فهلم بنا لنرى هذا الأثر .
فقال "بوريل" :
- إن هذا الرجل اعتاد أن يصعد أنبوب الماء بواسطة حبل وخطاف

وقد دخل المنزل أمس .. وانتقل من هذه الغرفة إلى الجناح الخاص بك وكان في أثناء سيره يحمل الحبل والخطاف في يده .. ولما كان الظلام دامسا ، فإنه اهتدى في طريقه إلى حاجز السلم .. فأخذ يسير مستندا إلى هذا السلم باليد التي تحمل الحبل والخطاف .. وقد ترك الخطاف أثرا على حاجز السلم لاحظته في الصباح . وفي استطاعتك أن تراه الآن بنفسك .

قال ذلك وخرج من الغرفة . وتبعه الآخرون حتى إذا بلغوا حاجز السلم ، أشار "بوريل" إلى آثار على الحاجز الخشبي .. تدل على أن الشخص الذي تكلم عنه ، كان حقا يستند إلى الحاجز باليد التي تحمل الخطاف فكانت اليد تضغط الخطاف فيترك هذا طابعه على الحاجز .

فهتفت "ناتاشا" :

- إن ذلك لا يثبت شيئا .. ومن المحتمل أن يكون الشخص الآخر الذي جاء عوضا عن "ميشيل" .. قد استخدم نفس طريقته في صعود أنبوب الماء .. وحمل معه مثل الخطاف الذي كان "ميشيل" يستعين به على الصعود .

تهالك الجنرال "فيودور تريباسوف" في مقعده وظهرت على وجهه علامات الإعياء الشديد هذا الرجل الذي لم تزعجه قنابل الفوضويين وسمومهم . هذا الرجل الذي لم يقم وزنا للمؤامرات التي تحاك حوله ، والتهديدات التي تتوالى عليه .. هذا الطاغية الجبار ، بطل مذبحة موسكو .. قد هدمه خاطر واحد ، هدمه مجرد التفكير في أن ابنته التي كان لها بمثابة الأب والأم في وقت واحد، وابنته التي أحبها كما لم يحب أحدا سواها ، تآمرت مع المتآمرين ضده ، وذللت لهم سبيل الفتك به وهو نائم لا يملك عن نفسه دفاعا .

اقترب "كوبريان" من الوالد التعس وقال له :

- أصغ يا "فيودور تريباسوف" .. إن الذي يتحدث إليك هو صديقك قبل أن يكون مدير البوليس .. فإذا لم تسأل ابنتك أمامنا نحن -

أصدقاءك وأقدر الناس على كتمان السر .

أقول إذا لم تسأل ابنتك عن سر سلوكها وتصرفاتها ، وإذا لم تطلب إليها إيضاح الغرض من مقابلاتها الليلية مع "ميشيل كورساكوف" ، وإذا لم تتقدم إلينا الآنسة "ناتاشا" بجواب مقنع فإنني أضطر إلى الانسحاب في الحال والالتجاء إلى وسائل أخرى تكفل إيضاح الحقيقة.

نعم إن كل ما أرجوه الآن هو أن أستوثق بأن ابنتك لم تكن ألد أعدائك .

تنهد "تريباسوف" .. وقال :

- نعم .. إن "كوبريان" على حق .. يجب أن يعرف الحقيقة رفع عينيه إلى "ناتاشا" ، فغمغمت الفتاة :

- ليس عندي ما أقوله .

فأشار "كوبريان" بسبابته نحوها وهتف :

- هاهي شريكة أعدائك يا سيدي الجنرال .

فأفلتت من شفتي الفتاة صيحة كصيحة الحيوان الجريح ، وارتمت تحت قدمي أبيها ، وأحاطت ساقيه بذراعيها وهتفت :

- أبي .. يا أبي العزيز .. انظر إلى عيني .. بحسبك أن تنظر إلى عيني .. لا تطالبني بما يستحيل علي أن أقوله .. صدقني يا أبي ، ولاتصدق هؤلاء الناس .. إنني لا أستطيع أن أقول شيئا .. لا أستطيع.. أقسم بحبي لك .. أقسم على قبر أمي التي لم أرها ، بأنني لا أستطيع .

لا تطالبني بإيضاح يا أبي .. وضمني بين ساعديك كما كنت تفعل وأنا صغيرة .. وأحببني يا أبي العزيز .. فإنني لم أكن قط بحاجة إلى حبك كما أنا الآن ..

أحببني .. فإنني مخلوقة تعسة .. لاتستطيع حتى أن تقتل نفسها أمام عينيك لتبرهن على براءتها ، وإخلاصها لك .

ورفعت إليه عينيها الصافيتين واستطردت :

- انظر إلى عيني .. ألا ترى فيهما أنني أحبك يا أبي .. يا أبي العزيز .. وانحدرت الدموع من عيني الجندي الشيخ .. ورفع رأس ابنته بين كفيه ، ونظر في عينيها طويلا . ثم سألها بصوت متهدج :

- ألا تستطيعين الآن أن تبوحي لي بشيء ؟ إذن متى تستطيعين ؟

فحولت الفتاة عينيها إلى النافذة ، ونظرت نحو السماء وقالت :

- الله يعلم أنني لن أستطيع أبدا ..

ولم يتمالك "ماترينا" و"كوبريان" و"بوريل" من الارتعاد ، فقد نطقت الفتاة جملتها الأخيرة بلهجة يمتزج فيها الإخلاص والحزن واليأس .

أما الجنرال فإنه تأمل وجه ابنته طويلا .. ثم انهضها وضمها إلى صدره .

وهنا ألقت "ناتاشا" على "ماترينا" نظرة فوز وهتفت :

- لقد صدقني .. ولو كنت أمي لصدقتني أيضا .

وكانت هذه الزوبعة ، والانفعالات الشديدة التي مرت بها قد هدت أعصابها وضعضعت قواها ، فسقطت على الأرض فاقدة الوعي .

وعندئذ ركع الجنرال بجانبها . وحمل رأسها بين يديه .. ونظر نحو الثلاثة نظرة غضب وسخط . وصاح بصوت كالرعد :

- إليكم عني .. اذهبوا .. اذهبوا جميعا .

الفصل التاسع
حديث

ما كاد "كوبريان" و"بوريل" ينصرفان من منزل الجنرال حتى لحق بأولهما أحد ضباط البوليس .. ودار بينهما حديث طويل ، لم يتبين منه "بوريل" كلمة واحدة ، لأنه دار بصوت خافض وباللغة الروسية .

ولما فرغ "كوبريان" من ذلك الحديث .. ولحق بـ "بوريل" كانت على وجهه علامات الحيرة ..

وواصل الرجلان السير في صمت محزن .. إلى أن قال "بوريل" فجأة:

- هل اتخذت الإجراءات الخاصة بجواز سفري يا مسيو "كوبريان" ؟

- أما زلت مصرا على السفر غدا ؟

- نعم .. إلا إذا حدث جديد .

- وهل تجد في استطاعتك الآن أن تميط اللثام عن أسرار هذه القضية ؟

- إن موعدنا غدا كما اتفقنا .

- يجب أن أقدم تقريري إلى جلالة القيصر غدا .. وأنا واثق بأن جلالته سيصدر إلي أمره في الحال بإلقاء القبض على "ناتاشا" .

- ولكنك لاتملك أي دليل مادي ضدها ؟

- إن القرائن كثيرة .

- القرائن شيء .. والأدلة المحسوسة شيء آخر .. ولكني أرجو أن أضع بين يديك غدا الأدلة المادية على براءة الفتاة ..

فنظر إليه "كوبريان" في ارتياب وقال :

- أصغ إلي يا مسيو "بوريل" ..

إن القضية واضحة جلية . وقد استغرقت من وقتنا ومن اهتمام جلالة القيصر أكثر مما يجب ، وقد عبر جلالته صباح اليوم عن

ضجره وقلقه . ولما كان لي أعداء يحاولون الانتقاص من مواهبي وكفايتي .. فإنني أرى لزاما علي أن أنفض يدي من هذه القضية بأسرع ما يمكن .. وقد طلب إلي جلالة القيصر أن اقدم تقريرا إليه غدا. وفي نية جلالته أن يأخذ بالشدة كل شخص كان له أصبع في المؤامرات التي دبرت ضد الجنرال .. حتى ولو كان هذا الشخص هو ابنة الجنرال .. فمن العبث إذن أن تحاول تبرئة هذه الفتاة . وفي اعتقادي انك تزيد من مركزك سوءا إذا أصررت على مثل هذه المحاولات..

فهتف "بوريل" :

- أزيد مركزك سوءا ؟ إنني لا أفهمك يا مسيو "كوبريان" .

فصمت "كوبريان" لحظة ثم قال :

- ربما استطعت أن أزيد الأمر إيضاحاً غدا . وبحسبي اليوم أن اقول لك في صراحة إن مركزك أصبح مريبا .

- كيف .. هل تعتقد ؟

- انا لا أعتقد شيئا .. ولكني أعبر لك فقط عن شعور جلالة القيصر نحوك .

- شعور جلالة القيصر نحوي ! ولكني لم اقابل جلالته غير مرة واحدة .

وكانت المقابلة ودية للغاية .

- هذا صحيح . ولكنه افتقد بالأمس جميع جواهره وامر بتفتيش أمتعتك في الفندق .

- يا للشيطان !

- وأمرني بإرسال جواز سفرك إليه شخصيا .

- إذن فلن أستطيع السفر غدا .

أعتقد أن هناك مفاوضات بين الحكومة الفرنسية والحكومة الروسية بشأن تسليم "أرسين لوبين" .

- وهل يعتقد جلالته أنني "أرسين لوبين" !

- إن جلالته لا يعتقد ذلك فقط .. بل يعتقد أيضا أن لك صلة بالفوضويين وأنك تعمل على تضليل العدالة .. في قضية الجنرال.

فقهقه "بوريل" ضاحكا وقال :

- يظهر أن جلالة القيصر قد تلقى على يدك درسا في تحقيق القضايا . فهو مثلك يجزم بالإدانة .. دون دليل .

- بل إن تحت يدي جلالته أدلة قاطعة .. أهمها رزمة من رسائل الفوضويين وجدناها في حقيبتك .

فجمد "بوريل" في مكانه لحظة .. ثم استغرق في الضحك .. وهتف :

- إذن قد فتشتم حقيبتي حقا .. ولماذا لم يصدر جلالته أمرا بإلقاء القبض علي ؟

- قلت لك إن الحكومة الروسية تنتظر تعليمات بوليس باريس .

فصمت "بوريل" لحظة ثم قال :

أصغ إلي يا مسيو "كوبريان" .. إن الفوضويين ، عندكم قادرون على عمل المعجزات .. وقد كان خطاب واحد منهم غفل من الإمضاء كافيا لأن يحيل مفتش البوليس "جوستاف بوريل" في نظر القيصر إلى "أرسين لوبين" ..

- لقد أبرقت الحكومة الفرنسية بأن مفتش البوليس "جوستاف بوريل" وجد مقتولا في أحد القطارات .. وثبت أن قاتله من الفوضويين . وقد ألقى بنفسه من القطار فتهشمت جمجمته .

- وكيف استولى "أرسين لوبين" على أوراق "جوستاف بوريل" .

- كان مسافرا معه في ذات المركبة .. وكان أحد رجال البوليس السري يتعقبه في مركبة أخرى .. فانتهز الفرصة وارتدى ثياب "جوستاف بوريل" وحمل أوراقه .. وتمكن بذلك من الفرار .

- هذا تعليل مقبول .. ولكني كما قلت لك رجل لا أقتنع إلا بالدليل الملموس فهل لك أن تستأذن جلالة القيصر في أن أقابله غدا .. لإيضاح موقفي .. وتسليم المجرم الحقيقي في قضية الجنرال "تريباسوف" .

- لا أعتقد أن جلالته سيسمح بهذه المقابلة .

- قل له فقط .. إن "جوستاف بوريل" .. أو "ارسين لوبين" او ماشئت من الأسماء يريد أن يضع بين يدي جلالته جميع الثروة التي يملكها الفوضويون .. ويستخدمونها في محاولة تقويض عرش جلالته .

الفصل العاشر
السم

عندما عاد "بوريل" إلى بيت الجنرال "تريباسوف" في اليوم التالي وجده محاطا بنطاق من رجال "كوبريان" ..

دخل المنزل . وعلى شفتيه ابتسامة غامضة .. تنم عن شيء من السخرية ..

وجد الهدوء يسود المنزل الذي كان في اليومين الأخيرين مسرحا لحوادث تشيب لهولها الولدان .. ورأى "ماترينا بتروفنا" تضع بنفسها مائدة الطعام في مقصورة المنزل .

اشرق وجهها بالابتسام حين وقع بصرها عليه .. فقصد إليها وشد على يدها القوية واستفسر عن الجنرال فقالت .

- إنه أصبح في حالة نفسية حسنة .. وقد أبدى رغبته في أن يتناول طعام الفطور هنا في المقصورة وأنه لا يستطيع أن يعبر لك عن شكره .

- الم تروا أثرا للضابط "بوريس مورازوف" ؟

- إنه جاء بالأمس بعد رحيلك . ولكن أحدا منا لم يقابله .

وقد أرسل إلينا في هذا الصباح خطابا يودعنا فيه بمناسبة اعتزامه الرحيل . وذكر في خطابه انه استقال من منصبه لأن مركزه اصبح لا يطاق بعد حادث مصرع "ميشيل" الذي يقيم معه في بيت واحد .. وبعد التحقيق الدقيق المزري بكرامته .. الذي أجراه معه البوليس أمس .

ولم تكد "ماترينا بتروفنا" تتم كلامها حتى سمع "بوريل" وقع اقدام على مقربة منه .. فنظر خلفه . ورأى الجنرال مقبلا .. وهو يسير على قدميه .. متكئا على ساعد "ناتاشا" .

كان الجنرال مشرق الوجه خلافا لما كان "بوريل" يتوقع .. أما

"ناتاشا" . فكانت لاتزال على سحنتها مسحة من القلق والامتقاع.

وقد خيل لـ "بوريل" وهو ينقل البصر بين افراد هذه الأسرة الصغيرة أنهم اتفقوا فيما بينهم على نسيان الماضي .

هتف الجنرال :

- أهذا أنت يا عزيزي "بوريل" . إنهم لن ينالوني الآن .. فإن في استطاعتي أن أسير على قدمي .. انظر ..

وأخذ يسير في المقصورة جيئة وذهابا دون أن يستند إلى شيء. ثم ارتمى على مقعد واستطرد :

- نعم .. إنهم لن ينالوني بعد الآن . ولم أعد بحاجة إلى من يتولى حراستي .

إنني أدعوك إلى تناول كاس من الشراب نخب صحتي أين الشراب يا "ماترينا بتروفنا" .. أين الشراب يا "ناتاشا" ؟

وقد لاحظ "بوريل" أن الجنرال إنما يقصد بالحركة والكلام أن يتجنب التفكير .. ولاحظ كذلك أنه لاينظر إلى وجه ابنته . حتى وهو يتحدث إليها .

أطرق "بوريل" براسه في حزن .

قالت "ماترينا" :

- لا شك أن "اورميلوف" قد نسي إحضار الشراب وهمت بان تنهض.

فقالت "ناتاشا" وهي تبتعد :

- ابقي أنت يا أماه . سأذهب لإحضار الشراب .

فصاح "بوريل" :

- لاتزعجي نفسك يا أنسة .. إنني اعرف وضع كل شيء في هذا المنزل .

ولحق بها . فلم تتريث الفتاة بل واصلت السير وهكذا وصل الاثنان إلى الغرفة الصغيرة التي تحفظ "ماترينا" فيها زجاجات الشراب .

وكان ذلك كل مايريده "بوريل" :

كان يريد أن ينفرد بـ "ناتاشا" . ولو دقيقة واحدة .

امسك بيدها . فجمدت في مكانها . ووقف الاثنان وجها لوجه . قال لها :

- ارى انك تريدين التحدث إلي .. بدليل انك لم تتجنبي الانفراد بي .

فظهرت على وجهها علامات التردد .. ثم قالت فجاة :

- نعم . أردت فقط أن اقول لك . ارحل عن هذه البلاد باسرع ما يمكن إذا كنت تريد أن تعود إلى وطنك ورأسك بين كتفيك ..

نعم يا سيدي عجل بالرحيل . وإذا كنت قد اكتشفت أو استنتجت شيئا .. فحاول أن تنساه . وإلا هلكت وتناولت يده فجاة وقالت بشيء من العطف :

- نعم ياسيدي . أتوسل إليك أن ترحل .

فنظر في عينيها الصافيتين ثم قال على حين غرة :

- اصغي إلي يا أنسة ، إنك ستكونين بعد الآن تحت اشد أنواع الرقابة .. فمن ذا الذي سيحل محل "ميشيل كورساكوف" ؟

- اصمت أيها التعس .. اصمت ..

فقال لها في ثبات :

- إنني على استعداد لأن أحل محله .

وكان صوته ينم عن الإخلاص . فاغرورقت عيناها بالدموع في الحال وغمغمت .

- إنك رجل كريم .

وغلبها الانفعال . فصمتت لحظة ثم استطردت :

- لو انهم علموا بما تعرضه علي الآن لقتلوك غدا .

فكن على حذر ولاتحاول أن تقابلني أو تتحدث إلي .

والآن يجب أن تعود إلى المقصورة . إنك مكثت هنا كثيرا .

- كلمة اخرى يا أنسة . كلمة واحدة . هل تاكدت الآن أن "ميشيل كورساكوف" هو الذي حاول تسميم والدك ؟

فهزت راسها واجابت :

- ليتني استطيع أن اقطع الشك باليقين في ذلك .

ولكن حدثني يا مسيو "بوريل" الا يمكن أن يكون الشخص الذي حاول تسميم أبي قد دخل من طريق آخر غير طريق النافذة ؟

- لا .. لا .. هذا مستحيل :

- إنهم لايعرفون المستحيل .

واشاحت بوجهها . ثم اردفت بصوت يدل على قلة الاكتراث :

- خذ .. خذ . يجب ان تحمل زجاجات الشراب مادمت قد جئت إلى هنا .

وخرج الاثنان معا .. حاملين زجاجات الشراب .

فصاح بهما الجنرال :

- اقتربا .. اقتربا . لكي أفسر لكما نظام الدولة .

كان الجنرال قد افرغ محتويات علبة ثقاب وشرع يرتب أعواد الثقاب بعناية .

فانحنى "بوريل" و"ناتاشا" فوقه . وراحا يرقبان طريقته في إيضاح نظام الدولة .

قال :

- هل ترون عود الثقاب هذا ؟ إنه القيصر . وهذا العود هو القيصرة وهذا هو ولي العهد . وهذه الاعواد هي الأمراء . وهؤلاء هم الوزراء . وهؤلاء هم كبار الموظفين وهذه تمثل الشعب.

والآن هل تريدين يا "ماترينا بتروفنا" أن تعرفي معنى الدستور الذي يطالب به الثوار والفوضويون ؟

قال ذلك وحرك الطاولة فاختلطت أعواد الثقاب بعضها ببعض .

استطرد :

- ها هو الدستور .

فاغرق "بوريل" في الضحك .

قالت "ماترينا" بسذاجة :

- انا لاافهم ماذا تعني يا "فيودور" .

فاجاب الجنرال وهو يشير إلى أعواد الثقاب المختلطة :

- ابحثي الآن عن القيصر .
ففهمت "ماترينا" غرضه . وضحكت . وكذلك ضحكت "ناتاشا" .
وتناول الجنرال أحد الأقداح التي ملأتها "ناتاشا" بالشراب وقال:
- يخيل إلي أن "كوبريان" قد تأخر عن موعده .
ونظر في ساعته واستطرد :
- الساعة الآن التاسعة إلا دقيقة .. لقد وعدني بالحضور في الساعة الثامنة والنصف لتناول طعام الفطور معنا .
فقال "بوريل" وهو يتأمل ساعة الجنرال :
- إنها ساعة ثمينة .
تعتبر آية في فن الصياغة .
فأجاب الجنرال :
- لقد ورثتها عن أبي . وهي تبين حركة الشمس والقمر والفصول وتدق بصوت مسموع كساعات الجدران . لنبدأ نحن بتناول الشراب حتى يحضر "كوبريان" .
فقال "بوريل" وهو يرفع الكأس إلى شفتيه .
- نخب صحتك يا سيدي الجنرال .
ورفع الجميع كؤوسهم واكتفى كل من "بوريل" و"ناتاشا" بأن يبلل شفتيه . أما الجنرال و"ماترينا" فقد ازدردا محتويات كاسيهما :
على أن الجنرال ما كاد يرفع الكأس عن شفتيه حتى سب وشتم وبصق بعض ما ازدرده وفعلت "ماترينا" فعله .. وحملقت إلى زوجها في ذعر .
هتف الجنرال :
- ماذا وضعوا في الشراب ؟
واحتقن الدم في وجه الجنرال وزوجته فجاة .. وخيل لـ "بوريل" أن عيونهما توشك أن تثب من محاجرها .
صاح الجنرال :
- لقد سمموني . أشعر كأن النار تلهب حنجرتي .

فوثبت "ناتاشا" إلى ابيها وعلامات الذعر على وجهها وأمسكت براسه بين كفيها وصاحت :

- تقيأ يا ابي .. تقيأ .

وهتف "بوريل" وهو حائر :

- يجب البحث عن مقيء ..

اما "ماترينابتروفنا" .. فانها وثبت من مكانها .. وفرت من المقصورة وهي تصرخ بصوت المختنق :

- يا إلهي .. يا إلهي !!

وراح الجنرال يصيح : هذا مخيف . هذا مخيف . إنني أحترق .

وعادت "ماترينا" بعد لحظة . وفي يدها قنينة صغيرة سكبت محتوياتها في قدحي ماء .

وقدمت أحد القدحين إلى زوجها وهي تصيح :

- تجرع هذا يا "فيودور" .. تجرع هذا .

وازدردت محتويات القدح الآخر :

كان منظرامؤلما ومضحكا في وقت واحد . ومما زاد في غرابته أن الساعة دقت التاسعة في جيب الجنرال .

وكانت "ناتاشا" في هذه الأثناء تبذل قصارى جهدها لإسعاف أبيها .

أما "ماترينا" فقد أنهكها التعب بعد الجهد الذي بذلته لإحضار السائل المقيء . فسقطت على الأرض ، وهي تئن وتتوجع .

وفي هذه اللحظة .. أقبل "كوبريان" .. وسمع الصراخ .. فخف لنجدة الجنرال . وتعاون مع "أورميلوف" على نقله إلى فراشه .

واسرعت "ناتاشا" وطلبت إلى أحد رجال الشرطة أن يدعوا طبيبا على عجل .

وعندما عاد "كوبريان" ليحمل "ماترينا" إلى فراشها .. لم يجد أثرا لـ "بوريل" أو الكؤوس الأربعة .. التي كان بها الشراب .

الفصل الحادي عشر
مع القيصر

- أين كنت ؟

- كنت أتنزه على ضفاف نهر "نيفا" .. وأحاسب نفسي .. وافكر..

- يا إلهي .. لقد خفت الاتصل في الوقت المناسب لمقابلة القيصر .

- اطمئن .. وأنت ماذا فعلت ؟ هل ألقيت القبض على "ناتاشا"؟

- بالتاكيد ، هل ثمة شك بعد حادث هذا الصباح في أنها حاولت تسميم أبيها للمرة الثانية ؟ ولكنك لم تسالني عن حال الجنرال وزوجته؟

فابتسم "بوريل" وأجاب :

- أنا واثق بانهما بخير حال .

فدهش "كوبريان" وقال :

- وكيف علمت ؟

- من كؤوس الشراب .

وارتسمت على شفتي "بوريل" ابتسامه غامضة ، فاطرق "كوبريان" براسه لحظة ثم نظر في ساعته وقال :

لم يبق على الموعد الذي حدده جلالة القيصر لمقابلتك غير بضع دقائق ، فهلم بنا .

وغادر الرجلان إدارة البوليس ، واستقلا إحدى المركبات وأمر "كوبريان" السائق بان ينطلق بهما إلى القصر الامبراطوري وحاول في أثناء الطريق أن يستدرج "بوريل" إلى الكلام فقال له :

- إن جلالة القيصر حانق عليك .. فكن على حذر ، إنه لم يوافق على مقابلتك إلا عندما ذكرت له أنك جردت الفوضويين من أموالهم ،

وستقدمها إلى جلالته ...

فاجاب "بوريل" مقتضبا :

- إنني عند وعدي لجلالته .

- هل جئت معك بهذه الأموال ؟

- بالتاكيد ..

فصعده "كوبريان" بنظرة فاحصة . وساله :

- كم تبلغ ؟ إن الراي السائد في دوائر البلاط أن الفوضويين يملكون ثروة طائلة لاتقل عن عشرة ملايين روبل .

فهتف "بوريل" :

- ماذا تقول ؟ عشرة ملايين روبل ! إنك تبالغ يا مسيو "كوبريان" . فانا لم أجد أكثر من مائة روبل .

فصاح "كوبريان" بصوت المختنق .

- مائة روبل ! هل جننت يا هذا . اتقول للقيصر كذبا إن ..

- أؤكد لك انني احمل في جيبي كل أموال الفوضويين .. وهي لاتتجاوز مائة روبل ..

فنظر "كوبريان" إلى ساعته . وقال وهو يتحرك في مقعده بقلق :

- يا للسماء . إن الوقت لا يتسع للاعتذار عن هذه المقابلة .

فقال "بوريل" بهدوء :

- ولماذا نعتذر . إن جلالة القيصر في أشد الشوق إلى مقابلتي - أيها الشقي . ايها المحتال . اتسخر مني . كيف نزعم انك استوليت على كل ثروة الفوضويين . وان هذه الثروة لاتتجاوز مائة روبل ..

- أؤكد لك انني لم اجد عند القائم بوظيفة امين صندوق اللجنة المركزية اكثر من مائة روبل .

- يا إلهي . ماذا يقول جلالة القيصر ! وكيف يصدقني بعد الآن؟

- سوف يعتقد جلالة القيصر بعد أن اتشرف بمقابلته انـ اصلح

رجل في روسيا يتولى إدارة البوليس .. وفقط احب ان أهمس في اذنك بكلمة .

فحنى "كوبريان" راسه وهو مشتت البال . لايدري ما هو فاعل فهمس "بوريل" في اذنه :

- يجب أن تطلق سراح "ناتاشا" باسرع ما يمكن . فصاح "كوبريان" في غضب :

- قبحك الله . الاتكف عن هذه السخرية .

- وكلمة اخرى أحب أن تسمعها . لكي يعتقد جلالة القيصر أنك رجل بعيد النظر تعرف كيف تحل القضايا العويصة وتسهر على حياة خدمه المخلصين .

فحنى "كوبريان" رأسه مرة أخرى . فهمس "بوريل" في أذنه :

- يجب أن تلقي القبض على "ماترينا بتروفنا" باسرع ما يمكن ولولا أن المركبة وقفت بباب القصر في تلك اللحظة لما تردد "كوبريان" في الانقضاض على عنق ذلك الشيطان الساخر وبعد بضع دقائق .. كان "جوستاف بوريل" جالسا في غرفة الانتظار المجاورة لمكتب القيصر .

كان يعرف تلك الغرفة حق المعرفة منذ الزيارة الأولى .

أما "كوبريان" .. فإنه راح يدور حول الغرفة في قلق .. وهو مقطب الحاجبين .. وقد أدرك "بوريل" سر قلقه .. فابتسم .

كان بدوره قد قضى يوما من اتعس أيام حياته وقد عصر ذهنه في ذلك اليوم كما لم يفعل في أحرج ساعات مرت به في حياته الحافلة بالمغامرات .

نعم . إنه قضى ذلك اليوم وهو يسائل نفسه :

ترى هل كان ميشيل كورساكوف" بريئا حقا وكان الذي دس السم للجنرال هو شخص آخر سواه !

وإلافما معنى هذه المحاولة الثانية لتسميم الجنرال وزوجته .

ولم ينقذه من الأزمه النفسانية التي أصابته إلا سماعه دقات إحدى الساعات .. وتذكره ساعة الجنرال "تريباسوف" كان "بوريل" يفكر في كل هذا حين اقترب منه كبير الأمناء .. وقال له بصوت خافت :

- إن جلالة القيصر ليس الآن في أفضل حالاته النفسانية ويحسن أن تختصر المقابلة ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، لأن جلالته قد ضرب موعدا في منتصف الساعة السادسة لمقابلة سفير البانيا . ها هو سعادة السفير قد اقبل .

وأوما كبير الأمناء إلى رجل متوسط القامة دخل الغرفة في تلك اللحظة وخلع معطفه وثبته في مكان خاص .

وجلس في أحد المقاعد .

وفي تلك اللحظة دق جرس الغرفة ، فاسرع كبير الأمناء إلى مكتب القيصر وغاب بضع ثوان . ثم عاد وأوما إلى "بوريل" أن يتبعه .

فنهض "بوريل" واقفا . وخلع معطفه . ووضعه بجانب معطف السفير الألباني . ثم خلع قبعته . ودخل مكتب القيصر كانت غرفة المكتب مؤثثة ببساطة . فهي لا تحوي أكثر من طاولة للكتابة ودولاب للكتب وبضعة مقاعد . وقد زينت جدرانها بصورة القيصرة وأولادها .

وقد كانت نظرة واحدة إلى وجه القيصر كافية لأن تشعر "بوريل" بانه ليس في أحسن حالاته .

كان وجه القيصر في الأحوال العادية يبدو هادئا باسما .. ولكنه كان في تلك اللحظة متجهما تدل تقاطيعه على الصرامة أشعل القيصر لفافة تبغ وقال وهو يصعد "بوريل" بعينين في نظراتهما شيء كثير من الفضول .

- يجب أن اقول لك يا سيدي إنني غير راض عن سلوكك وأنك لو كنت من رعاياي لبعثت بك في رحلة إلى سيبريا .

فقال "بوريل" وهو يحني قامته بخضوع :

- إنني عانيت في هذه الأيام ياMولاي اكثر مما يعاني نزلاء المنفى .
- ارجو الا تقاطعني يا سيدي ، والاتتكلم إلا إذا سالتك .
- عفوا يا مولاي .
- يجب الا تتوهم انك استطعت ان تخدعني بالسبب الذي اخترعته لكي أسمح لك بمقابلتي .
- إنني لم اخترع ..
- ارجو الا تقاطعني يا سيدي .
- عفوا يا مولاي .
- يجب أن اقول لك إن حيلك ومناوراتك إذا كانت تجوز على مواطنيك في فرنسا فإنها لا تجوز علينا .
- مولاي ..
- فانت قد دخلت هذه البلاد منتحلا شخصية غير شخصيتك الحقيقية ومتظاهرا بانك من رجال البوليس في حين انك ..
- إنني يا مولاي ضحية مؤامرة دبرها الفوضويون ضدي لكي يجلبوا علي سخط جلالتكم .
- هل تعني انك لست .. لست المدعو "ارسين لوبين" ..
فحنى "بوريل" قامته باحترام واجاب :
- إنني اتشرف بان اكون خادمكم "جوستاف بوريل" مفتش البوليس إلى أن تثبت المخابرات مع الحكومة الفرنسية غير ذلك .
مهما يكن من امر فإنك جئتنا لتساعدنا ضد اعدائنا . ولكن اعداءنا وجدوا فيك اعظم عون على إنفاذ تدابيرهم الإجرامية .
- من ذا الذي يتهمني يا مولاي ؟
- لقد شكا إلينا "كوبريان" .. مدير شرطتنا من انك بذلت قصارى جهدك لعرقلة أعماله وتعطيل سير العدالة . فبدات بتسريح رجاله .. وبذلك منعته من ان يحول بين اتصال ابنة الجنرال "تريباسوف"

بالمجرمين الذين يحاولون اغتياله . وكادت تقع جريمة قتله بالسم ، لولا عناية الله بهذا الخادم الأمين .

ولما أراد القبض على "ناتاشا" أوهمته بانها بريئة ، ووعدته بان تقدم له المجرم الحقيقي قبل انقضاء أربع وعشرين ساعة ، وفي خلال هذه الساعات الأربع والعشرين . وقعت المحاولة الثانية ضد "تريباسوف" المسكين .

فهذه كلها يا سيدي محاولات إجرامية ضد سلامة الدولة وسلامة رجالاتها . وهي محاولات تستحق أشد أنواع العقاب .

إنك وعدتني يوماً بإنقاذ حياة الجنرال "تريباسوف" . ولكنك كنت عونا للأشقياء وكان سلوكك أشد تعاسة وفظاعة من سلوك "ناتاشا فيودور" .

وصمت القيصر .. ونظر إلى "بوريل" بعينين ثاقبتين .. فلم يغض "بوريل" الطرف .

قال القيصر :

- بماذا تجيب ؟ تكلم .

- إنني وعدت جلالتكم بإنقاذ حياة الجنرال "تريباسوف" .. وقد انقذتها .. فهو الآن في مامن من كل خطر .

وإذا سمحتم لي جلالتكم فإنني انتهز هذه الفرصة لأقول إنه لا يوجد في العالم كله فتاة تخلص لأبيها .. وتفتديه بحياتها وهي راضية ناعمة البال ، كما تخلص "ناتاشا" لأبيها .

هذه الفتاة بريئة وطاهرة الذيل من كل ما نسب إليها يا مولاي .

- كن على حذر يا سيدي ولا ترسل الكلام على عواهنه ، لانني اهتممت بدراسة هذه القضية شخصياً لاتصالها بحياة ضابط عظيم من اخلص الجنود لعرشي .

فهل لديك الدليل على صحة ما تقول ؟

- نعم يا مولاي .

- وأنا أملك الدليل على أن "ناتاشا فيودور" هي مجرمة تعسة .

- كلا يا مولاي .

فنهض القيصر وقد احمر وجهه غضبا ولكنه سرعان ما ملك نفسه.. ففتح أحد أدراج مكتبه ، وأخرج منه حزمة من الأوراق ..

قال :

- ها هي الأدلة ، وقد وجدت في حقيبتك بالفندق الذي تقيم فيه وقد ظن أولا أنها دليل على اتصالك بالفوضويين ولكني اهتممت بفحصها ودراستها بنفسي .

فانحنى "بوريل" فوق حزمة الأوراق ونظر بإمعان .

قال القيصر :

- إنك لاتفهم اللغة الروسية يا سيدي . فهل تامر بترجمة هذه الأوراق لتعرف مضمونها .

إنها تتضمن رسائل متبادلة بين "ناتاشا فيودور" واللجنة المركزية للثوار . ويفهم من هذه الرسائل أن ابنة الجنرال كانت على تمام الاتفاق مع أعداء أبيها لتنفيذ خطتهم الذميمة .

- أي لقتل الجنرال ؟

- نعم ..

- أؤكد لمولاي أن هذا مستحيل ..

- أنت رجل عنيد . ساتلو عليك مضمون هذه الأوراق .

- لافائدة من ذلك يا مولاي .. إنني كنت أول من حصل على هذه الوثائق . ولم أتمكن من معرفة مضمونها لسوء الحظ . لأنها أخذت من حقيبتي بأمر مولاي . ولكني واثق يامولاي بان "ناتاشا فيودور" لم تتامر مع أعداء أبيها لقتله ، وأن هذه الوثائق إذا كانت تتضمن أمرا خطيرا فمضمونها لايعدو أن يكون مشروع مؤامرة . وان من دواعي

دهشتي أن يكون أولئك الفوضويون الأشقياء قد سجلوا على الورق أن "ناتاشا" اتفقت معهم على تسميم أبيها .

- الواقع أنهم لم يسجلوا ذلك في هذه الوثائق . لأن تسجيل هذه الأمور على الورق يتنافى مع أبسط مبادئ الحنكة والحذر .

بيد أن ذلك لايمنع من القول بأن "ناتاشا فيودور" كانت على اتفاق مع الفوضويين .

- هذا صحيح .

فقال القيصر بحدة :

- آه . أنت تعترف إذن .

- أنا لاأعترف يا مولاي .. ولكني اقرر فقط أن "ناتاشا" كانت على اتفاق مع الفوضويين ..

- وبذلك مهدت السبيل لأولئك الأشقياء لكي يفتكوا بحاكم موسكو .

- مولاي .. إذا كانت "ناتاشا" قد اتفقت مع الفوضويين فليس ذلك لكي تقتل أباها .. وإنما لتنقذه .. وهذه الأوراق إذا كانت تتضمن مشروع اتفاق .. فهو مشروع لوقف المحاولات والتدابير التي يراد بها قتل الجنرال .

- ماذا تقول ؟

- إنني أقول الحقيقة يامولاي .

- وأين أدلتك ؟ أين براهينك ؟ أرني ماعندك من الأوراق والوثائق - ليست عندي أوراق أو وثائق يا مولاي ، ولست أملك غير لساني .

- ذلك لايكفي .

- ذلك يكفي إذا تفضل مولاي بالإصغاء إلي ..

مولاي .. قبل أن أميط لجلالتكم اللثام عن سر تتوقف عليه حياة الجنرال "تريباسوف" أرجو أن يسمح لي مولاي بإلقاء بضعه أسئلة :

- هل تقيمون جلالتكم وزنا لحياة الجنرال "تريباسوف" .

- ماذا تعني ؟

- عفوا يامولاي . إنني التمس معرفة راي جلالتكم في هذه النقطة .

- إن الجنرال "تريباسوف" قد دافع عن عرشي وأنقذ الامبراطورية من خطر من أشد الأخطار التي استهدفت لها في كل تاريخها .

فإذا جوزي هذا الخادم المخلص على خدماته بالموت فإنني لن أتذوق للطمأنينة والسعادة طعما ..

- إنني افهم من جواب جلالتكم عن سؤالي أنكم لاتستكثرون اية تضحية لإنقاذ حياة الجنرال ، وأنكم على استعداد لشراء حياته باي ثمن .

- آه .. هل يريد أولئك السادة مساومتي ؟ .. إنهم بحاجة إلى المال بغير شك ..

كم يطلبون ثمنا لراس الجنرال ؟

- مولاي .. إذا كانت هناك اية مساومة من هذا النوع .. فإنني لست بالرجل الذي يعرضها على جلالتكم .

على أن الآنسة "ناتاشا" قد فكرت في مثل هذه المساومة .. ورأت - وهي الفتاة المخلصة المحبة لأبيها - أن أفضل وسيلة لإنقاذ الجنرال من المتاعب والمؤامرات والقتل هي أن تبتاع حياته بالمال .. فعرضت على الفوضويين كل ثروتها في مقابل أن يتركوا أباها وشانه .

- كل ثروتها ؟ ولكنها لاتملك شيئا .

- إنها سوف تملك كل ثروة الجنرال بعد وفاته .. وقد بدأت المساومة على أن تتنازل للجنة المركزية للثوار عن نصف ثروتها يوم يموت أبوها ميتة طبيعية .. ولكنها عندما اتصلت بالثوار لإبرام هذه الصفقة .. أرغموها تحت تاثير التهديد بالقتل على توقيع صك بالتنازل عن كل ثروتها للفوضويين .. بشرط أن يترك الجنرال وشانه حتى يختطفه الموت .

فنهض القيصر واقفا .. وهتف وعلى وجهه علامات الانفعال الشديد:

- كل ثروتها للفوضويين ؟ ماذا تقول يا هذا ؟ كل ثروة الجنرال للفوضويين ؟

إذن فقد اصبح اعدائي اغنياء .

- مولاي . إنني انهيت إلى جلالتكم هذا السر الذي تتوقف عليه حياة الجنرال "تريباسوف" .. فالفوضويون سوف لايتامرون على حياة الجنرال ، وسوف لايلحقون به اذى او ضرا .. طالما أن ثروته لن تعود إليهم إلا إذا مات ميتة طبيعية فصك نزول "ناتاشا" عن ثروتها في الواقع صك تامين على حياة ابيها ..

ولقد وعدت بان اضع بين يدي جلالتكم كل ثروة الفوضويين .. والفوضويون لايملكون غير ثروة "ناتاشا" ومبلغ مائة روبل وجدتها في بيت الضابط "ميشيل كورساكوف" .. عندما قمت بزيارة ليلية لمنزله .. وحملت معي جميع اوراقه التي ضبطها مسيو "كوبريان" في حقيبتي وحسب انها دليل على وجود صلة بيني وبين الفوضويين .

ولم يتسع لي الوقت لدراسة هذه الأوراق لأنني لاافهم اللغة الروسية.. بيد انني استطعت بالاستعانة باحد قواميس اللغة أن اكتشف في هذه الأوراق اكثر الحقائق التي تهمني ، ومن الحقائق التي وقفت عليها أن الضابط "ميشيل كورساكوف" ياور الجنرال لم يكن فقط من الفوضويين الخطرين .. بل كان كذلك أمينا لصندوق اللجنة المركزية الثورية .

اما صك نزول "ناتاشا" عن ثروتها .. فلم أجده في أوراق "ميشيل" .. بل وجدته في جيبه حين سقط قتيلا برصاص رجال الشرطة .. وساعدتني الظروف فكنت اول من وصل إلى مكان الجثة .. واستطعت بذلك أن افتش "ميشيل" قبل أن يصل "كوبريان" ورجاله .

وها هو الصك يا مولاي .. وها هو مبلغ المائة "روبل" .

وقدم "بوريل" الصك والورقة المالية إلى القيصر .. فتناول جلالته الصك بلهفة .. وقرأه بإمعان .. ثم وضعه على مكتبه .. وضغطه بإصابعه .. وارتسمت على وجهه علامات التفكير العميق . قال "بوريل" :

- لقد كشفت لمولاي هذا السر الخطير من أسرار الفوضويين .. وإنني أترك لجلالته حرية التصرف به كما يشاء .. ولكن إذا سمح لي مولاي بإبداء رأيي والرأي الأخير لجلالته ، فإنني أقترح أن ترد "ناتاشا" هذا الصك إلى الفوضويين ، وأن يبقى أمر هذه المساومة مكتوما .. فتلك افضل وسيلة للمحافظة على حياة الجنرال "تريباسوف" الذي يهم جلالتكم الا يجازى على خدماته لعرشكم جزاء سنمار ، ومن المهم كذلك الا يعلم الجنرال نفسه بهذه المساومه لأنه إذا علم اتخذ الإجراءات لحرمان ابنته من الميراث حتى لاتقع ثروته في أيدي أعدائه .. ولعن ابنته التي انقذته .. واستهدف من جديد لمؤامرات أعدائه وأعداء عرشكم .

نعم .. الرأي يامولاي أن نترك للآنسة "ناتاشا" حرية التصرف .. ولتذهب ثروتها إلى الفوضويين حين يموت أبوها ميتة طبيعية .

وكف "بوريل" عن الكلام .. ونظر إلى وجه القيصر ليرى تأثير هذا الاقتراح ولكن التأثير كان سيئا .. لأن القيصر قطب حاجبيه .. وأمعن في التفكير .

وساد صمت عميق .. لم يجسر "بوريل" على أن يقطعه .. واضطر أن ينتظر ..

وأخيرا أخذ القيصر يسير في الغرفة جيئة وذهابا .. ثم وقف لحظة أمام النافذة . وحيا بيده ولي عهده الذي كان يلعب وقتئذ في حديقة القصر مع شقيقاته .

وعاد إلى "بوريل" والقى بيديه على كتفيه بلطف وسأله :

- ولكن كيف علمت كل هذا ؟ وإذا كان صحيحا ماذكرت .. فمن ذا الذي حاول إذن أن يسمم الجنرال وزوجته في صباح اليوم؟

- إن "ناتاشا" ملاك طاهر يا مولاي .. ليس فقط لأنها نشأت في عز ورفاهة ثم ضحت برفاهيتها وسعادتها وثروتها من أجل حياة أبيها.. وإنما كذلك - وهو ما أعتبره غاية النبل والشهامة - قد كتمت سر تضحيتها وأصرت على الكتمان رغم كل إنسان .. لأن هذا الكتمان كان جزءا أساسيا في التضحية .

إنها كتمت السر وأصرت على الكتمان .. وتركت لأبيها أن يظن الظنون في إخلاصها وطهارتها حين كان في استطاعتها أن تبرئ نفسها بكلمة واحدة .

وكتمت السر عن خطيبها الذي تحبه والذي توسلت إليه أن يعفيها من وعدها وأن يفسخ الخطبة .. حتى لاتزف إليه فقيرة معدمة وهي التي يعتقد في غناها وواسع ثروتها .

كتمت السر ولاتزال تكتمه وهي في أعماق السجن .. وسوف تظل تكتمه ولو أرسلت إلى المنفى في سيبريا.

كل ذلك لأنها تعتقد أن الكتمان مهما ترتب عليه من عذاب وإذلال ومهانة لها .. هو الزم ما يكون لسلامة أبيها .

تلك هي يا مولاي الفتاة التي يتوهم مسيو "كوبريان" أنها حاولت اليوم تسميم أبيها وزوجته .

- ولكن انت .. كيف وقفت على هذا السر المكنون الذي تعنى صاحبته كل هذه العناية بكتمانه ؟

كان بحسبي أن انظر في عينيها يا مولاي .. وان ارقبها خلسة حين كانت تعتقد انها في خلوة .. وان احدا لا يراها كان بحسبي أن اقرا على وجهها مزيج الذعر والحب وأن أراها وهي تنظر إلى أبيها .

لقد مرت لحظات يا مولاي . كنت أرى فيها على وجه هذه البنية من علامات الإخلاص مالايرى إلا على وجوه الشهداء والقديسين.
إنني وقفت على سرها من مجرد النظر إليها ، ومن بعض فلتات لسانها ، ومن الموازنة بين مالها وما عليها .
لقد كنت أرى من امرها ما لا يستطيع أن يراه أولئك الذين قطعوا في امرها براي ، واستقرت في اذهانهم فكرة إدانتها .
ولماذا قطع الآخرون بإدانتها ؟ لأن اتصالها بالفوضويين اثار فورا فكرة تامرها معهم . ولهذا لم يكن متهموها ينظرون إلى المسالة إلا من وجه واحد . في حين انها كانت كغيرها من المسائل ذات وجهين.
كانوا جميعا على يقين من أن للفتاة صلة بالفوضويين . وقد قامت لديهم الأدلة على ذلك . ولكنهم لم يسالوا عن سبب هذه الصلة . واستقر في اذهانهم أن الغرض هو التامر على حياة الجنرال ولم يخطر ببالهم أن الغرض ربما كان إنقاذ حياة الجنرال .
إن الإنسان إذا اتصل بواحد من الأعداء . فليس معنى ذلك حتما انه يريد العمل معه . إذ قد يكون الغرض تجريد هذا العدو من سلاحه .. بإغرائه أو مساومته والتعاقد معه .
وقد كنت الوحيد الذي عني بفحص المشكلة من وجهيها . ولم تدم حيرتي طويلا . لأن مظهر "ناتاشا" دلني على براءتها . ولأنني كنت اقرا في عينيها كل معاني الحب والطهر استوثقت بان "ناتاشا" على اتصال بالفوضويين وادركت انها تتفاوض معهم . وتساومهم على حياة أبيها فسالت نفسي ماذا تستطيع الفتاة أن تعطي ثمنا لحياة أبيها .
لاشيء غير الثروة التي ستؤول إليها بعد وفاته . وقد سمعت في أحد الأيام حديثا دار بينها وبين خطيبها "بوريس موزاروف" وطرقت اذني من هذا الحديث بعض عبارات عن استحالة عقد الزواج في وقت قريب وعن الفقر الذي يحل باحد الناس بعد الغنى والرفاهية .

ووجوب العدول عن خطبتها وفهمت ان الاتفاق تم على ان يفسخ الشاب الخطبة في ذلك المساء . ولكن الظاهر أن قلبه لم يطاوعه . ولم يحضر في المساء كما وعد الفتاة . ولعله أراد أن يترك لها فرصة اخرى للتفكير قبل أن تقضي على سعادتها وسعادته .

كنت واثقا بان المفاوضات بين "ناتاشا" ومندوب الفوضويين ستجري في منزل الجنرال نفسه . وكان من المستحيل ان تجري المفاوضات في اي مكان لسبب آخر لسبب معقول هو شعور "ناتاشا" بوجودها تحت مراقبة رجال "كوبريان" وشعور "ميشيل كورساكوف" بأن "بوريس" يراقبه مراقبة شديدة بدافع الغيرة .

وبمناسبة الكلام عن "ميشيل كورساكوف" . أقول إن هذا الداهية أراد أن يخون الجميع ، وأن يقوم بدور لحسابه الخاص لكي يخرج من الصفقة بنصيب الأسد .

وفي اعتقادي أن ميشيل لم يعترف لـ "ناتاشا" منذ البداية بانه اداة في أيدي الفوضويين واغلب الظن أنه شجع الفتاة في أحد الأيام على أن تصارحه بخواطرها وأن تعبر له عما ارتاته من وجوب التعاقد سرا مع أعداء أبيها لإنقاذه .. ولاريب أن "ميشيل" ظهر أمام الفتاة عندئذ في ثوب الرجل الباسل فعرض عليها أن يكون وسيطا بينها وبين الفوضويين ، ثم ذهب إلى مغائرهم حيث استكتبوها صك التنازل عن كل ثروتها .

والظاهر كذلك ان ذهن "ميشيل" تفتق عن حيلة جديدة فقال لنفسه .. لماذا لا أقترن بـ "ناتاشا" وافوز وحدي بثروتها بعد وفاة أبيها ؟

وهكذا راح يعبر لها عن حبه وإخلاصه .. ثم طلب إليها ان تقترن به..

ولم يكن في عزمه بالتاكيد ان يقترن بفتاة فقيرة . فاحتفظ معه بالصك ، ولعله كان يريد أن يتخذ منه دائما سلاحا لإرهابها .

ومهما يكن من أمر فإنه وجد أن الجنرال إذا مات ميتة غير طبيعية فإن ثروته تؤول إلى "ناتاشا" دون غيرها ، وبالتالي تؤول إليه بعد زواجه منها .

وهكذا .. كانت الفتاة تعتقد أن "ميشيل" يعمل من أجلها ، في حين أنه لم يكن يعمل إلا من أجل نفسه .

وقد دلتني الآثار التي وجدتها في الليلة التالية لحادث التسمم الأول على أن الشخص الذي دخل المنزل في تلك الليلة وسكب السم في كأس الجنرال هو بعينه الذي اعتاد دخول المنزل خلسة قبل ذلك .

وقد خطر لي يومذاك أن أقابل "ناتاشا" وأن أحذرها من ذلك الوسيط . وأن أضع نفسي في خدمتها وأقوم بينها وبين الفوضويين .. ولكن شاءت الأقدار الا أتمكن من الانفراد بها .. ثم شاءت الأقدار أن يرتاب "كوبريان" في حسن نواياي ، وأن يذهب ورجاله لحراسة المنزل ، وأن يفتك بـ "ميشيل" وهو يحاول مقابلة "ناتاشا" .

وهنا صمت "بوريل" .

كان القيصر قد سمح له بالكلام فلم يقاطعه ، بل أصغى إليه بانتباه لكي يزن براهينه واستدلالاته بميزان المنطق .

قال القيصر فجاة وقد لمعت عيناه .

- هل من المعقول أن تكون "ناتاشا" بريئة كل البراءة من التامر مع "ميشيل" ضد أبيها .. وهي التي كانت تفتح له النافذة ليلا .. وقد فتحتها في ليلة المحاولة الأولى .

- إنها تركت النافذة مفتوحة يامولاي لانها كانت على موعد معه. وقد ذهب "ميشيل" إلى المنزل في تلك الليلة . ولكنه لم يقابل "ناتاشا" . بل ذهب لقتل أبيها . ووصل إلى غرفة الجنرال بفضل الطريقة التي وصل بها أولا . حين كان الفوضويون يريدون قتل الجنرال قبل أن تبدأ "ناتاشا" مساومتها معهم . أعني حين وضع القنبلة في آنية الأزهار

بغرفة الجنرال فهز القيصر رأسه بارتياب وقال ببرود :

- إنك شديد الحماسة للآنسة "ناتاشا" . ولكني قد أفهمك واصدقك إذا قلت لي لماذا حاولت هذه الفتاة تسميم الجنرال وزوجته بان وضعت لهما في الشراب نفس السم الذي استخدم في المحاولة الأولى. وأعني به محلول الزرنيخ .. كما قرر ذلك الطبيب الذي أسعف الجنرال وزوجته ؟

فاجاب "بوريل" :

- نعم يا مولاي . إن السم الذي استخدم في المحاولة الثانية وهو محلول الزرنيخ الذي استخدم في المحاولة الأولى وقد اثارت هذه المحاولة الثانية ريبتي وشكوكي . لانها قلبت استنتاجاتي واستدلالاتي رأسا على عقب .. واشعرتني بالقلق ووخز الضمير .. وجعلتني أتوهم أن "ميشيل كورساكوف" كان بريئا .

ولكني عندما عصرت فكري ، واستعرضت دقائق الحادث ، تبين لي أن "ناتاشا" بريئة من هذه التهمة ، كما كانت بريئة من التهم السابقة .

- وكيف ذلك ؟

- إن في أكثر المسائل المهمة يامولاي نواحي دقيقة إذا اغفلت أدى إغفالها إلى أسوأ النتائج .. وفي تحقيق الجرائم الهائلة .. يتعين على المحقق الا يغفل أدق الملاحظات وقد هدتني إحدى الملاحظات التافهة في حادث التسميم الثاني إلى معرفة حقيقة لم تكن تخطر لي على بال..

كان حول المائدة عندما وقع الحادث أربعة أشخاص هم الجنرال وزوجته .. والآنسة "ناتاشا" وخادمكم الماثل أمامكم وقد اصيب بالتسمم اثنان فقط من الأربعة .. ولم يصب الاثنان الآخران بسوء.

ومن البديهي أن الجنرال لم يشأ تسميم نفسه .. وأن زوجته لم تشأ تسميم نفسها .. وانني لا أريد تسميم أحد .. فلم يبق إذن إلا أن تكون

"ناتاشا" هي التي وضعت السم .. وفي هذه الظروف لاتوجد إلا حالة واحدة نستطيع فيها أن نعتبر "ناتاشا" غير مذنبة..

فقال القيصر :

- إن كلامك لاينطبق على المنطق . ولكنه يثير فضولي .

- والحالة التي اتكلم عنها هي حالة عدم تسمم أحد .

فصاح القيصر :

- ولكن قد ثبت وجود السم .

- إن وجود السم يامولاي لايدل على شيء أكثر من أنه موجود ولكنه لايدل على جريمة .

وقد حملت الكؤوس الأربع عقب الحادث مباشرة إلى كيميائي من أبرع المشتغلين بالكيمياء في هذه المدينة . فاثبت التحليل وجود محلول الزرنيخ في كاسين منها .

وقد كان محلول الزرنيخ موجودا عند "ماترينا بتروفنا" منذ الحادث الأول . ومن المحتمل أن تكون قد احتفظت بجانب منه ، ولكني لم افطن إلى ذلك بادئ ذي بدء ، وإنما فطنت إليه فقط عندما تذكرت دقات ساعة الجنرال .

تناول الجنرال كاسه قبل الساعة التاسعة بدقيقتين وفي الساعة التاسعة تماما .. كانت "ماترينا بتروفنا" واقفة أمامه .. وفي يدها السائل المقيئ .

- وماذا فهمت من ذلك ؟

- إن دولاب الأدوية والعقاقير في منزل الجنرال موضوع في الطابق الأول .. ودقيقتان أو على الأصح دقيقة ونصف .. هي مدة لاتكفي سيدة بدينة مترهلة الجسم مثل "ماترينا بتروفنا" لكي تصعد إلى الطابق الأول ، وتفتح دولاب العقاقير الطبية . وتبحث عن المادة المقيئة ثم تهبط السلم وتصل إلى المقصورة .

ففتح القيصر عينيه في دهشة وقال :

- هذا صحيح ..

- إنني تذكرت هذه الحقيقة وانا أسير على ضفة نهر "نيفا" ويرجع الفضل في انني تذكرتها إلى ساعة سمعتها تدق دقات شبيهة بدقات ساعة الجنرال .

ولما كنت قد صعدت إلى الطابق الأول في بيت الجنرال مئات المرات ، فإنني استطعت تقدير مسافة السلم والبهو .

فأخذت أعدو على ضفة النهر بمقدار المسافة وقطعتها في دقيقتين ونصف .

ومتى أضفنا إلى ذلك أنه كان يتعين على "ماترينا بتروفنا" أن تضيع بعض الوقت في فتح الأبواب والدولاب والبحث عن المادة المقيئة ، وأضفنا إلى ذلك أنها ثقيلة الحركة وانا خفيفها وجدنا أن هذه السيدة لم تصعد إلى الطابق الأول قط لأن الوقت الذي استغرقه غيابها عن المقصورة لم يكن كافيا للصعود والعودة .

ومعنى ذلك أنها أعدت هذه المادة واحتفظت بها معها قبل حدوث التسمم .

- يا لله !

- وإذن فقد كذبت "ماترينا" . ودبرت حادث التسمم .

ولكن دون أن تنوي القتل . ولاشك أنها انتهزت فرصة انشغال زوجها بأعواد ثقاب كان يعبث بها . فسكبت قطرة من السم ، قطرة واحدة في كل من الكاسين .

فهتف القيصر .

- هذا مخيف .. ولكن ماذا كان غرضها من ذلك ؟

- كان غرضها يا مولاي أن تتجنب وقوع جريمة حقيقية .. كان غرضها أن تعمل على إبعاد "ناتاشا" من المنزل إلى الأبد .. لاعتقادها أن

الفتاة لاتتورع عن ارتكاب أفظع الجرائم .

- ولكن هذا مخيف .. لقد قال لي "فيودور تريباسوف" مرارا إن زوجته تحب "ناتاشا" حب العبادة .

- لقد ظلت تحبها بإخلاص يا مولاي .. إلى أن كان اليوم الذي اعتقدت فيه أن الفتاة تتآمر على حياة الجنرال لم تكن هناك أية قوة تستطيع إقناع "ماترينا بتروفنا" بان "ناتاشا" بريئة من تهمة الاشتراك مع "ميشيل كورساكوف" في محاولة تسميم الجنرال .

وقد أذهلها وأزعجها ورابها مارأت من استعداد زوجها للصفح عن "ناتاشا" ، فاصطنعت الجريمة لتبعد الفتاة .

- هل تعتقد أن "ماترينا بتروفنا" تعترف بذنبها إذا واجهناها بهذه الحقائق؟

- أنا واثق بذلك يا مولاي .. ولذلك طلبت من مسيو "كوبريان" أن يذهب لاستدعائها .

- إنك تفكر في كل شيء يا سيدي .

ومد القيصر يده .. ليقرع الجرس فهتف "بوريل" .

- لي رجاء يامولاي . هو أن تتكرم بإعفائي من رؤية هذه السيدة في موقف الاتهام .. ثم لي سؤال آخر .. هو ماذا تنوي أن تفعل يا مولاي؟

فظهر على القيصر أنه لم يسمع جيدا أولم يفهم جيدا وشعر "بوريل" بانه كان جريئا أكثر مما يجب فاستدرك قائلا :

- عفوا يا مولاي . إنني بسطت على مسامع جلالتكم نتيجة أعمالي خلال هذه الأيام . ووضعت بين أيديكم مفتاح السر الذي تتوقف عليه حياة الجنرال "تريباسوف" ، وهوهذا الصك . فهل تنوون جلالتكم تجاهل هذا السر وكتمانه .

ليس الأمر قاصرا على إطلاق سراح "ناتاشا" فحسب ولكنه يجب أن

يتعدى ذلك إلى إطلاق يدها ومنحها حرية العمل لإنقاذ حياة ابيها بالطريقة التي تراها أفضل من غيرها .

فماذا تنوون جلالتكم ؟

- هذه هي أول مرة أستجوب فيها ياسيدي .

- عفوا يامولاي . ولكنها ستكون كذلك الأخيرة . إنني التمس من جلالتكم الجواب ..

- الجواب ؟ هل تظن أن من الحكمة في شيء أن أطلق يد هذه الفتاة فتضع ملايين أبيها بين أيدي أعدائي ؟

- يا مولاي . إن أعداء جلالتكم لم ينالوا هذه الملايين بعد فالجنرال "تريباسوف" يناهز الخامسة والستين من العمر ولكنه لايزال ممتلئا صحة ونشاطا . وسوف يقضي عشرات الأعوام قبل أن يموت ميتة طبيعية .

وخلال هذه الأعوام سوف يكون أعداؤك قد جردوا من سلاحهم وأخضعوا ..

فغمغم القيصر بصوت أجوف :

- لا .. لا .. إن أعدائي لن يلقوا السلاح ولن يخضعوا ابدا .. إذ ما الذي يجردهم من سلاحهم ويخضعهم .

فقال "بوريل" بهدوء :

- الإصلاح الاجتماعي يامولاي .

فنظر القيصر إلى محدثه الجريء واحمر وجهه غضبا غير أن "بوريل" لم يغضض الطرف أمام نظراته .

فقال القيصر :

- هذا الكلام طيب يا فتى .. ولكنك تتكلم كالأطفال .

- مايتكلم طفل فرنسي إلى والد الشعب الروسي . قال ذلك بصوت عميق .. فمرت بجسد القيصر رعدة طفيفة .. ونظر إلى "بوريل" في

سكون . فاستطرد "بوريل" :

- الإصلاح الاجتماعي .. والرحمة يامولاي .

فاطرق القيصر براسه لحظة ثم غمغم :

- حسنا .. ساترك الأمر لحكمة "ناتاشا" وارد إليها صكها .

ودق القيصر الجرس .

اما "بوريل" فإنه خرج إلى غرفة الانتظار . وهناك رأى "كوبريان" و"ماترينا بتروفنا" .

فنظر إلى الأول في تهكم وقال :

- ارى انك عملت بنصيحتي . واصغيت إلى همساتي فلم يجب "كوبريان" .

اما "ماترينا بتروفنا" فإنها نظرت نظرة غامضة ولم تنطق بكلمة، وما هي إلا لحظة حتى دعيت هذه السيدة الباسلة للتشرف بمقابلة القيصر .

وانتهز "كوبريان" هذه الفرصة فسال "بوريل" في قلق :

- ماذا حدث ؟

- حدث ياسيدي انني برات نفسي امام القيصر من جميع التهم التي الصقتها بي . وأن جلالته لايزال حائرا بين "جوستاف "بوريل" و"ارسين لوبين" .

- قلت لك إننا ننتظر رد الحكومة الفرنسية .

فقال "بوريل" وعلى شفتيه ابتسامه غامضة :

- تستطيع ان تبلغني هذا الرد ببرقية تبعث بها إلى باريس .. باسم "جوستاف بوريل" .. او "ارسين لوبين" .

ثم نظر في ساعته واستطرد :

- وذلك لانني معتزم الرحيل بقطار السابعة .

- وجواز السفر ؟

- أعتقد أن جلالة القيصر سيمنحني جوازاً خاصا يخولني حق السفر في جميع أنحاء أوروبا مجانا .. فعض "كوبريان" على شفته ولم يجب . فقال "بوريل" :

- يامسيو "كوبريان" .. سوف يقول لك جلالة القيصر بنفسه إن الجنرال "تريباسوف" أصبح بمأمن من كل خطر فهل تعرف معنى ذلك ؟ معناه أنك تسارع في الحال إلى إطلاق سراح "تومان" الذي اشتريت حياته بحياة الجنرال .

فقال "كوبريان" في قلق :

- إنني وعدت . وسأنفذ وعدي . ولكنني انتظر فقط أن يؤكد لي الإمبراطور نجاة "تريباسوف" .

وصمت لحظة ثم سأل :

- و"ناتاشا" . ماذا نفعل بها ؟

- ماذا تفعل بها ؟ ألم تطلق سراحها بعد ؟ .. ويل لك .. ألم أقل لك إنها بريئة ..

- من السهل أن تقول ذلك . إذا كانت "ناتاشا" بريئة فمن هو المجرم إذن ؟

- يوجد مجرمان . أحدهما "ميشيل" .

- والثاني ؟

- اصغ ..

وأشار "بوريل" بأصبعه نحو مكتب القيصر . فأرهف "كوبريان" أذنيه.. وسمع بكاء "ماترينا بتروفنا" .. وعبارات الندم والأسف ..

فدهش "كوبريان" وذعر .. ولم يستطع أن يصدق أذنية :

وفجأة .. فتح الباب . وخرج القيصر .. كانت تبدو على وجهه علامات الغضب الشديد .

قال له القيصر :

- سيدي .. يهمني كثيرا ان ارى الآنسة "ناتاشا" "فيودور" هنا قبل انقضاء ساعة .

يجب أن يؤتى بها محوطة بما هو جدير بمركزها من الاحترام والتكرم .

إنها بريئة يا سيدي .. ويجب ان نعوضها عما لحقها من غبن وعسف .

ثم تحول إلى "بوريل" وقال :

- لست أعرف ياسيدي كيف اثنيك على خدماتك المخلصة .. ونصرتك للحق والعدالة .

فجثا "بوريل" على ركبتيه أمام القيصر وقال :

- بحسبي انني ارضيت ضمير مولاي . واديت المهمة التي نيطت بي .

- ابق هكذا علي ركبتيك ياولدي .

ثم تحول إلى كبير الأمناء وقال له :

- تجد في دولابي الخاص طائفة من أربطة الرقبة .. فجئني برباط القديس "سان بول" من درجة فارس .

وهكذا انعم جلالة القيصر على "جوستاف "بوريل" .. او "ارسين لوبين" .. بقلادة القديس "سان بول" .

بيد أن "جوستاف بوريل" أو "أرسين لوبين" .. كان أحوج إلى معطف سفير البانيا منه إلى رباط القديس "سان بول" .

فلم يكد القيصر يفرغ من منحه القلادة حتى قبل يد القيصر .. وأخذ يتراجع القهقري وهو لايزال يحني قامته باحترام .. إلى أن وصل إلى حيث ترك معطفة بجوار معطف سفير البانيا .

وبدلا من ان يحمل معطفة .. حمل معطف السفير .

ولايعلم احد .. هل وقع "جوستاف بوريل" في هذه الغلطة عمدا .. أو

عن غير قصد .

ومهما يكن من امر فإن سفير البانيا في روسيا لم يشعر بغلطة المسيو جوستاف بوريل وبضياع اوراقه الخصوصية إلا بعد ان تخطى مفتش البوليس حدود روسيا .. بعد رحلة ممتعة .. كان فيها موضع الاحترام والتبجيل .

كيف لا وهو يحمل جواز سفر رجل من رجال السلك السياسي .. والأوراق التي بجيبه لاتدع مجالا للشك في أنه سفير البانيا في روسيا.

"تمت"

اقطع الكوبون، وضع علامة ☒ على رقم الرواية التي تريدها، وارسله مع الشيك بالبريد المسجل (المضمون) وان يكون الشيك مسحوب على مصرف في لبنان على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص ب ٣٧٤ - جونيه - لبنان

ملاحظة : جميع الشيكات : بإسم

دار ميوزيك

أرجو سرعة إرسال الروايات التالية :

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
				١٦	١٥	١٤	١٣	١٢	١١

الإسـم : ....

العنوان : ....

ص.ب .... المدينة : .... الرمز البريدي : ....

الدولـة : ....

مرسل طيّه شيك بمبلغ .... دولار أمريكي.

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها..
سارع في إرسال طلبك !

١	ارسين لوبين بوليس اداب		
٢	أرسين لوبين بوليس سري		
٣	الماسة الزرقاء		
٤	ارسين لوبين رقم ٢		
٥	أرسين لوبين في السجن		
٦	المعركة الأخيرة		
٧	أرسين لوبين في موسكو		
٨	أرسين لوبين في قاع البحر		
٩	أرسين لوبين في نيويورك		
١٠	اسنان النمر		
١١	الميراث المشؤوم		
١٢	اصبع أرسين لوبين		
١٣	لصوص نيويورك		
١٤	اعترافات أرسين لوبين		
١٥	الإبرة المجوفة		
١٦	الإنذار		